جامعة الأزهر

Al-Azhar University

من معطيات الدلالة السياقية لمادة (أ م ر) في القرآن الكريم

إعداد

د / حسام خليل مهني سالمان

مدرس بقسم أصول اللغة بكلية اللغة العربية بجرجا

العام الجامعي: ١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م

من معطيات الدلالة السياقية لمادة «أ م ر» في القرآن الكريم

حسام خليل مهني سالمان
قسم أصول اللغة، كلية اللغة العربية بجرجا، جامعة الأزهر، مصر.
البريد الإلكتروني: hossamkhalil4488@ azhar.edu.eg

ملخص البحث: تكشف هذه الدراسة عن دور السياق في تحديد وترجيح المعنى المراد، وتزيل اللبس بين المعاني المتعددة التي يحتملها لفظ واحد، وذلك وفق معايير وقرائن لغوية مرتبطة بنصِّ العبارة أو الجملة، أو الآيات القرآنية السابقة واللاحقة، أو قرائن مقامية أو حالية ترتبط بمراعاة الحال والمقام الذي قيل فيه اللفظ أو العبارة، أو أسباب النزول للآيات القرآنية، ومراعاة حال المخاطبين بالآيات حال نزولها، كما أثبتت الدراسة – أيضًا – أن مادة « أ م ر » في القرآن الكريم كان لها بعض المعاني الحقيقية، والتي كان يحددها السياق الواردة فيه، وكذلك لها بعض المعاني المجازية، وكان يعمل السياق على تحديد وترجيح المعنى المجازي المراد والمقصود، والذي يتناسب مع سياق الآيات، وكان منهجي في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي التحليلي؛ فأكتب الآية التي وردت فيها الصيغة المشتقة من مادة «أ م ر»، وأقوم بدراستها وتحليلها تحليلاً سياقيًا، موردًا آراء العلماء وأقوالهم في تفسيرهم لمادة «أ م ر» في هذه الآية، مثبتًا دور الدلالة السياقية في تحديد المعنى المراد في كل مفردة ، وقد جاء هذا البحث في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة وفهارس عامة.

الكلمات المفتاحية: مادة "أ م ر"، القرآن الكريم، الدلالات السياقية، المعنى الحقيقي، المعاني المجازية، قرينة السياق، السياق اللغوي، الحال، المقام.

Given the contextual significance of the article "Amar" in the Holy Qur'an

Hossam Khalil Mahni Salman
Department of Language Origins, Faculty of Arabic Language in Girga, Al-Azhar University, Egypt
Email/ hossamkhalil4488@ azhar.edu.eg.

Abstract: This study reveals the role of context in determining and preferring the intended meaning, and removes ambiguity between the multiple meanings that a single word may have, according to linguistic criteria and indications related to the text of the phrase or sentence, or the preceding and following Quranic verses, or situational indications related to taking into account the situation and situation in which the word or phrase was said, or the reasons for the revelation of the Quranic verses, and taking into account the situation of those addressed by the verses at the time of their revelation.My methodology in this study was the descriptive and analytical method. So, I write the verse in which the formula derived from the article "Amar" was mentioned, and I study it and analyze it contextually, citing the opinions and sayings of scholars in their interpretation of the article "Amar" in this verse, proving the role of contextual significance in determining the intended meaning of each word. This research came in an introduction, a preface, two chapters, a conclusion, and general indexes.

Keywords: The word "Amar", The Holy Quran, Contextual meanings, The real meaning, The metaphorical meanings, The context, The linguistic context, The situation, The position.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الآمر بكل خير، الناهي عن كل شر، الكاشف لكل ضر، المبشر بالفتح والنصر، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين... وبعد:

فقد جعل الله تعالى القرآن الكريم معجزة الأمة الإسلامية إلى أن تقوم الساعة، فقال عزَّ من قائل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[1]، فتعهد الله تعالى بحفظه، وقيَّض له رجالا صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قام بحفظه، ومنهم من قام بكتابته، ومنهم من قام بتفسيره، وبيان ما به من أحكام وتعاليم جاء بها الإسلام؛ ليرشد الأنام إلى ما فيه الخير والوئام، فتحمل علماء اللغة والمفسرون مسئولية تفسير آيات القرآن الكريم، وقد يَسَّرَ الله تعالى لهم ذلك، وأعانهم على تفسير آيات الله البينات، وهذه المهمة لم تكن سهلة ولا يسيرة على هؤلاء العلماء والمفسرين، بل العكس تمامًا، وخاصة لما تتميز به اللغة العربية من ألفاظ متعددة تحمل الدلالة على معنى واحد، ومعاني متعددة تتزاحم للدلالة على لفظ واحد، وكذلك ما احتوت عليه العربية بوجه عام، والقرآن الكريم على وجه الخصوص من ألفاظ كثيرة قد أصابها التطور والتغيير، والانتقال الدلالي من معنى لآخر، فجميع هذه الأمور، وإن كانت في مجملها من خصائص العربية ومميزاتها، ومن وسائل نمو اللغة وثرائها إلا أنها كانت موضع دقة، وإمعان نظر، وبذل مجهود لدى العلماء والمفسرين.

وذلك لوجود بعض المفردات القرآنية التي لها دلالة معجمية تختلف عنها الدلالة السياقية باختلاف المواضع التي وردت فيها هذه المفردة القرآنية، فنجد أن مادة واحدة أو جذرا واحدا له الكثير من المعاني الحقيقية

(١) سورة الحجر الآية (٩).

والمجازية، وكان السياق هو الحكم والفصل في تحديد المعنى المراد لهذه المادة في كل استعمال وفي كل آية قرآنية.

من أجل ذلك يسر الله لي وهيَّأ الأسباب ليكون بحثي ودراستي في هذا المجال، والتي جاءت بعنوان: (من معطيات الدلالة السياقية لمادة «أ م ر» في القرآن الكريم).

وذلك إيماناً وإقرارًا بمدى أهمية السياق، ودوره الفعَّال في الكشف عن دلالات الألفاظ، وتحديد المعنى المقصود من الآيات؛ وفقًا لما تقتضيه القرائن السياقية سواء كانت هذه القرائن لغوية أم حالية ومقامية، حسب الحال والمقام الذي وردت فيه المفردة القرآنية، ووفق استخداماتها المتنوعة؛ فالسياق هو الذي يعمل على تحديد المعنى المراد، ويزيل اللبس بين المعاني المتزاحمة حول اللفظ الواحد.

الدراسات السابقة:

هناك بعض الدراسات التي كان لها شرف السبق في تناول بعض الصيغ والألفاظ القرآنية ودلالتها السياقية، فمن أهم هذه الدراسات:

١- الدلالات السياقية لمادة (كتب) في القرآن الكريم، د/ حسن محمد عبد المقصود، الناشر: مكتبة الآداب – لعام ٢٠٠٤م.

٢- مادة "ض ر ب" المعجمية ودلالتها في القرآن الكريم، د/ عبدالله حسن أحمد، بحث منشور في مجلة كلية الآداب، جامعة الموصل، العدد: ٥١، لعام ٢٠٠٨م.

٣- الجذر " س ل م " في القرآن الكريم بين الدلالة المعجمية والسياقية، د/ سمير داود سلمان، بحث منشور في مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، العدد : ٦٠ لعام: ٢٠١٢م.

٤- مادة " أ ك ل " ودلالتها السياقية في القرآن الكريم، د/ عبدالتواب

الأكرت، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية العالمية بباكستان، العدد: الأول، المجلد: ٥١، لعام ٢٠١٦م.

٥- الدلالات السياقية للفظ الكتاب في القرآن الكريم د / عبد التواب الأكرت – الناشر: مكتبة دار الحرم للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى لعام : ٢٠٢٣م.

٦- مادة " ح س ب " في القرآن الكريم دراسة دلالية، د/ عبدالعزيز بن عمر عماري، بحث منشور في مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية بالسعودية، العدد: ٣٥، لعام : ٢٠٢٣م.

٧- المفردة القرآنية ودلالاتها السياقية " مادة (ز ك ا) أنموذجاً، د/ بكر طلعت بكر، بحث منشور بمجلة كلية اللغة العربية بأسيوط، العدد: ٤٢، لعام : ٢٠٢٣م.

٨- دراسة دلالية عن الأمر ومشتقاته في القرآن الكريم ومضمونها التربوي للباحث: محمد يندي رمضان، رسالة ماجستير بكلية الدراسات العليا، جامعة سونان غونونج جاتي الإسلامية الحكومية باندونج لعام ٢٠١٨م.

فجميع هذه الدراسات – عدا الدراسة الأخيرة – تعمل على بيان الدلالات السياقية للمواد اللغوية التي يتم دراستها ودراسة اشتقاقاتها المختلفة، يكاد بحثي يتفق مع هذه الدراسات في الفكرة ذاتها، وهى تناول مادة من مواد القرآن الكريم، ودراستها دراسة دلالية سياقية، وتختلف دراستي مع هذه الدراسات في المادة اللغوية واشتقاقاتها التي تفرعت منها، وكذلك طريقة العرض والتحليل والدراسة، وكيفية معالجة مسائل البحث، وتناول المعاني الحقيقية والمجازية المختلفة التي يقتضيها السياق، فمن ثَمَّ كان اختصاص دراستي بمعطيات الدلالة السياقية لمادة «أ م ر» في القرآن الكريم.

أما الدراسة الأخيرة، وهي بعنوان: (دراسة دلالية عن الأمر ومشتقاته

في القرآن الكريم ومضمونها التربوي)، للباحث: محمد يندي رمضان، فلم أعثر على هذا العنوان إلا بعد الانتهاء والفراغ من كتابة بحثي هذا، ولم أقف من هذا البحث إلا على صفحة الغلاف والمقدمة وفهرس المحتويات، ومن خلال الاطلاع على المقدمة تبين لي أنه بحث في المجال التربوي.

وكان منهجي في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي التحليلي؛ فأكتب الآية التي وردت فيها الصيغة المشتقة من مادة «أ م ر»، وأقوم بدراستها وتحليلها تحليلاً سياقيًا، موردًا آراء العلماء وأقوالهم في تفسيرهم لمادة «أ م ر» في هذه الآية، مثبتًا دور الدلالة السياقية في تحديد المعنى المراد في كل مفردة، وإن كانت هناك عدة معان قد ذكرها العلماء والمفسرون للمفردة في الآية الواحدة، فأقوم بتحديد المعنى الذي يرجحه السياق، وتؤيده القرائن اللغوية في الآية نفسها، وما كان من سوابق أو لواحق لغوية في الآيات التي تتحدث في نفس موضوع الآية محل الدراسة، وقد يكون الترجيح مبنياً على قرينة غير لغوية، كأسباب النزول للآية أو غيرها من قرائن مقامية.

وقد جاء هذا البحث في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس عامة.

أما المقدمة: فتحدثت فيها عن أهمية الموضوع، والدراسات السابقة، والمنهج الذي سرت عليه، وخطة البحث.

وفي التمهيد: تحدثت عن المعاني الحقيقية والمجازية لمادة «أ م ر»، ومفهوم الدلالة في اللغة والاصطلاح، وأنواع الدلالة، ومفهوم السياق وأقسامه.

المبحث الأول: المعاني الحقيقية لمادة «أ م ر» في القرآن الكريم، ودلالتها السياقية.

المبحث الثاني: المعاني المجازية لمادة «أ م ر» في القرآن الكريم، ودلالتها السياقية.

الخاتمة: وتضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

الفهارس العامة: وفيها ثبت به أهم المصادر والمراجع للبحث، وفهرس محتوياته.

فالله تعالى أسألُ أن يتقبل هذا العمل المتواضع، وأن يجعله في خدمة القرآن الكريم ولغته العربية، وأن يكون خالصًا لوجهه الكريم.

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباحث

التمهيد

أولاً: مادة " أ م ر» بين الحقيقة والمجاز

المعاني الحقيقية لمادة «أ م ر»:

الأمرُ نقيضُ النهيِّ، والأمرُ – أيضًا– كلُّ حدَثٍ يحدُثُ، وكلُّ قصةٍ تقعُ[١]، والأمر: الحادثة[٢]، والأَمْرُ: الشَّأْنُ، والحالُ، وما كان أَو يكونُ من قَوْلٍ أَو فِعْلٍ. الجمعُ: أُمُورٌ ، والأمر: طَلَبُ الفِعْلِ ممَّن هو دونَكَ حَقِيقَةً أَو بزَعْمِكَ. الجمعُ: أَوَامِرُ على غيرِ قِياسٍ فَرْقاً بَيْنَهُ وبَيْنَ الأَمْرِ بالمَعْنَى الأَوَّلِ، وأَمرْتُهُ أَمْرًا: تقدمت إليه وكلفته أن يفعله، والأمارة: العلامة والعَلَم؛ تقول أَمَّرَ أَمَارَة إذا نَصَبَ عَلَمًا[٣] .

ويحدد السيوطي المعنى الحقيقي للأمر عند قوله: «الأمر له معنيان: أحدهما طلب الفعل على الوجوب أو النَّدب أو الإباحة، والثاني بمعنى الشأن والصفة»[٤] .

فالأمر إذا كان بمعنى الفعل أو الشأن جُمِعَ على « أمور»، فهو من أبنية جَمْعِ الكثرة، مفرده على وزن « فَعْل » عينه صحيحة، ليست واواً؛ فجُمِعَ على « فُعُول »، وإذا كان بمعنى الطلب أو القول المخصص، فيُجمع على «أوامر» على وزن « فواعل»، فهو من صيغ منتهى الجموع، وجمعه ليس قياساً [٥].

---

(١) اتفاق المباني وافتراق المعاني ٢٢٢/١.

(٢) ينظر: لسان العرب «أ م ر» ٢٧/٤ والمصباح المنير «أ م ر» ٢١/١ .

(٣) الطراز الأول والكناز لما عليه من لغة العرب المعول لابن معصوم «أ م ر» ٣٩/٧ وما بعدها.

(٤) معترك الأقران في إعجاز القرآن ٩/٢.

(٥) ينظر: المصباح المنير« أ م ر» ٢١/١ وتاج العروس « أ م ر» ٦٩/١٠ والتبيان في تصريف الأسماء، د/ أحمد حسن هيكل ص ١٥٣ ، ١٥٦ والفيصل في ألوان الجموع، عباس أبو السعود: ص ٧٥ – ٧٩.

وبذلك فإن المعنى الحقيقي للأمر يشمل الأمر الذي هو نقيض النهي، وكل ما يدل على الحض والحث على فعل الشيء، والتكليف به، والشأن، والحال، والحادثة، وكل قصة تقع.

ويضيف أبو البقاء الكفوي في كتابه (الكليات): «وَالْأَمرُ فِي الْحَقِيقَةِ: هُوَ الْمَعْنى الْقَائِمُ فِي النَّفْسِ»(١) .

مما جعل الطاهر بن عاشور يسوي بين كلمتي « أَمْر» و«شيء» لما اختص به من كونه لفظا ذا دلالة مبهمة لا يفهم المراد منه إلا من خلال التصريح أو السياقات الملازمة للنص، فيقول: « (الْأُمُورُ) جَمْعُ أَمْرٍ، وَهُوَ اسْمٌ مُبْهَمٌ مِثْلُ شَيْءٍ»(٢).

المعاني المجازية لمادة « أ م ر »:

هناك الكثير من المعاني المجازية التي تستخدم فيها مادة «أ م ر»، وما تفرع عنها من اشتقاقات متنوعة، ويتم تحديد هذه المعاني عن طريق السياق سواء كان هذا السياق سياقا لغويا، وهو الذي يصاحب ويلازم اللفظة والكلمة، من سوابق ولواحق لها، أو كان هذا السياق سياقَ حالٍ وموقفٍ.

ومن المعاني المجازية التي ذكرها العلماء لمادة «أ م ر»، وما تفرع عنها من صيغ ما يلي: (٣)

---

(١) الكليات لأبي البقاء الكفوي ص ١٧٧.

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٢٢٠/١٠.

(٣) ينظر في جميع هذه المعاني: العين للخليل بن أحمد «ر م أ» ٢٩٧/٨، وتهذيب اللغة للأزهري «ر م أ» ٢٠٧/١٥، والصحاح للجوهري «أ م ر» ٥٨٠/٢، ومقاييس اللغة « أ م ر» ١٢٧/١، والمحكم لابن سيده « ر م أ» ٢٩٧/١٠، وأساس البلاغة «أ م ر» ٣٣/١، ولسان العرب «أ م ر» ٢٧/٤، والمصباح المنير للفيومي «أ م ر» ٢١/١، والقاموس المحيط للفيروزآبادي « أ م ر» ٣٤٤/١، والطراز الأول لابن معصوم « أ م ر» ٣٩/٧، وتاج العروس للزبيدي « أ م ر» ٦٨/١٠، ومتن اللغة لأحمد رضا «أ م ر » ٢٠٣/١.

= بمعنى الكثرة يقال: آمَرْتُه بالمد، وأمَرْتُه بمعنى كثرته، والامتثال للأمر، فتقول: ائتمرتُ ما أمرتني به: أي: امتثلت.

= وبمعنى الإمارة والولاية، فيقال: أمِرَ فلان بالكسر، وأَمُرَ بالضم أي: صار أميرًا، ويقولون: «إنما الإمرة من الولاية» والأمير: الملك.

= وبمعنى الجار: فالأمير الجار؛ لانقياده له.

= وبمعنى الشيء المحدد بالعلامات الموسوم.

= وبمعنى الرؤساء والعلماء، فأولوا الأمر: الرؤساء والعلماء.

= وبمعنى الكثرة والتمام، فتقول: أمِرَ الشيء أي: كَثُرَ وتَمَّ، وأمِرَ القوم كثروا؛ لأنهم إذا كثروا صاروا ذا أمرٍ.

= وبمعنى الرجل ضعيف الرأي، فيقولون: رجلٌ إمَّرٌ، أي: ضعيف لا رأي له.

= وبمعنى الموعد والوقت المحدود؛ فالأمارة: الوقت، وقيل الإمر: بالكسر – أيضًا – الأمر العظيم الشنيع.

= وبمعنى لا أحد؛ فيقولون: ما بالدار أَمَر محركة وتأمور وتُؤْمُرِي، أي: أحد.

= وبمعنى المشاورة؛ فالائتمار: المشاورة.

= وبمعنى الهَمِّ بالشيء.

= وبمعنى المُسْتَبِدِّ برأيه؛ فالمُؤْتَمِرُ: المستبدُّ برأيه.

= وبمعنى النفْس والقلب، وقيل: العقل والدم، والولد، ووزير الملك والشجاعة؛ فجميع هذه المعاني يطلق عليها لفظ «التَأْمُور».

= وبمعنى شهر المحرم؛ فيقولون: المُؤْتَمِرُ شهرُ المُحَرَّمِ.

= وبمعنى الزيادة والنماء والبركة، فيقولون: الأَمَرَة: الزيادة والنماء، والبركة، والشيء المبارك.

= وبمعنى الزوج، فيقال: فلانة مطيعة لأميرها، أي لزوجها.

= وبمعنى كثرة العدد، فيقال: أَمِرَ القوم، أي: كَثُر عَدَدُهُم.

= وبمعنى: اسم مواضع كثيرة، فيقال: ذو أَمَرٍ، وهو: موضع غزاه رسول الله (ﷺ)، وهو بنجد من بلاد غطفان، وكذلك إمَّرَة: اسم جبل، ومنزل في طريق مكة من البصرة، ويسمى: إمَّرَة الحِمَى.

وهناك بعض المعاني المجازية الأخرى التي ذكرها المفسرون، وعلماء الوجوه والنظائر، والتي عليها مدار البحث والدراسة، فنذكر – على سبيل الإجمال– بعضًا من هذه المعاني(١):

= بمعنى الدين والملة والشريعة.

= بمعنى الأمراء والولاة والحكام.

= بمعنى العلم .

= بمعنى وقوع العذاب.

= بمعنى فتح مكة.

= بمعنى وقوع الساعة ويوم القيامة.

= بمعنى النصر والفتح.

= بمعنى الغرق والهلاك.

= بمعنى الكيد والمكر والتدبير.

---

(١) ينظر في جميع هذه المعاني: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ٢٧٦/١، الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري ٧١/١ وما بعدها، والوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز للدامغاني ص ٤٠ وما بعدها، وتفسير القرطبي ٨٨/٢، وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي ١١٤/١، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي ٤٢٥/٢، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي ٣٩/٢، وفتح القدير للشوكاني ١٥٥/١ وما بعدها.

= بمعنى الوحي.

= بمعنى الكفر والشرك، والعصيان، والطغيان.

= بمعنى الذنب والوزر.

= بمعنى الفصل بين الحق والباطل.

= بمعنى الجلاء والقتل.

= بمعنى إيجاد عيسى (عليه السلام).

= بمعنى إظهار أمر المنافقين.

= بمعنى التشاور والتفاوض، والتفاهم، والاتفاق.

= بمعنى الشيء العجيب.

وقد ذكر ابن قتيبة هذه المعاني في مادة «أمر» عند تأويله لمشكل القرآن مردفًا ذلك بقوله: « وهذا كله وإن اختلف فأصله واحد، ويكنى عن كل شيء: بالأمر، لأن كلَّ شيء يكون فإنما يكون بأمر الله، فسميت الأشياء: أمورًا، لأن الأمر سببها، يقول الله تعالى:﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾[1]»[2].

فهو يقصد أنه وإن تعددت المعاني المجازية لصيغ مادة «أ م ر» إلا أننا إذا دققنا النظر وجدناها ترجع إلى المعنى الحقيقي الذي تربطها به علاقة إما المشابهة أو غير المشابهة، أو أحد علاقات المجاز المرسل؛ شأنها في ذلك شأن باقي الصيغ المجازية.

ثانيًا: حول مفهوم الدلالة وأنواعها:

مفهوم الدلالة في اللغة:

تدور مادة « د ل ل» في المعاجم اللغوية حول معنى الإبانة، والظهور، والوضوح، فيقول ابن فارس: «الدَّالُ وَاللَّامُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا إِبَانَةُ الشَّيْءِ

(١) سورة الشورى الآية (٥٣) .

(٢) تأويل مشكل القرآن ٢٧٧/١.

بِأَمَارَةٍ تَتَعَلَّمُهَا، فمن ذلك: دَلَلْتُ فُلَانًا عَلَى الطَّرِيقِ، وَالدَّلِيلُ: الْأَمَارَةُ فِي الشَّيْءِ، وَهُوَ بَيِّنُ الدَّلَالَةِ – بالفتح – وَالدِّلَالَةِ – بالكسر»[١] .

مفهوم الدلالة في الاصطلاح:

يُعَرِّف الشريف الجرجاني الدلالة بأنها: « هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول»[٢] .

وأورد الزبيدي أن الدَّلالة هي: « كونُ اللَّفظِ متى أُطْلِقَ أَو أُحِسَّ فُهِم مِنْهُ مَعْنَاهُ للعِلْم بوَضْعِه»[٣] .

فعلى ذلك علم الدلالة هو العلم الذي يدرس المعنى[٤]، وهو العلم الذي يهتم بالبحث عن معاني المفردات ودلالاتها، وهو يُعَدُّ من أهم أبواب اللغة وأوسعها، وأصبح البحث في الدلالة علمًا مستقلاً، وقد عرفته الدراسات اللغوية علمًا مستقلاً يسمى «علم الدلالة» « السيمانتيك - Semantics»، فهو يدرس الظواهر المتعلقة بالدلالة، والظواهر التي تؤثر في معاني الكلمات، وفي قواعد اللغة وأساليبها، فتؤدي إلى تطورها واختلافها[٥].

لذلك ذكر العلماء أن الدلالة تعتمد على ثلاثة أمور، هي[٦]:

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس « د ل ل» ٢٥٩/٢، وينظر: لسان العرب لابن منظور « د ل ل » ٢٤٩/١١.

(٢) التعريفات: للشريف الجرجاني ١٠٤/١.

(٣) تاج العروس للزبيدي « د ل ل» ٤٩٨/٢٨.

(٤) في علم الدلالة اللغوية: د. عبد التواب الأكرت ص ١٤.

(٥) المصدر السابق نفسه ص ١٥.

(٦) علم الدلالة اللغوية: د/ عبد الغفار هلال ص ١٧، ٢٠، ٢١ مقارنة بكتاب في علم الدلالة اللغوية: د/ عبد التواب الأكرت ص ١٦.

١- **الدال (الرمز أو الألفاظ)**، وهو الكلمة المنطوقة سواء أكانت كلمة مفردة أو مجموعة من الكلمات.

٢- **المدلول:** وهو المعنى أو الفكرة التي يحملها القالب اللفظي بوضع الواضع، أو غير ذلك من سياقات الاستعمال اللغوي.

٣- **النسبة:** وهي العلاقة القائمة بين الألفاظ والمعاني التي تدل عليها، وتتوقف بمقدار كبير على حالات الكلام، وأوضاعه اللغوية، وعلاقة كل من المتكلم والسامع بموضوع الحديث.

أنواع الدلالة:

قَسَّمَ العلماء الدلالة إلى عدة أنواع تتمثل فيما يلي:

١ – الدلالة الصوتية:

هذه الدلالة تستفاد من طبيعة الأصوات، من حيث رنينها وجرسها، فبمجرد سماعك للفظ بما يشتمل عليه من أصوات، تدرك مدلوله، وتتعرف على معناه، فيكون بين اللفظ ومدلوله علاقة طبيعية، وتكون دلالة اللفظ مستفادة من ذات اللفظ وأصواته(١).

فنجد مثلاً: خَضِمَ وقَضِم، فاستعملوا الخاء لرخاوتها للشيء الرطب، كالقثاء والخيار، واستعملوا القاف لشدتها للشيء اليابس، نحو قولهم: قضمت الدابة شعيرها، فهناك مناسبة واضحة بين أصوات الكلمة ومعناها(٢).

وهناك – أيضًا– مظاهر أخرى للدلالة الصوتية كالنبر، والتنغيم(٣).

٢– الدلالة الصرفية:

هذا النوع من الدلالة يستمد عن طريق الصيغ وبنيتها، فكلمة « كذَّاب»

---

(١) في علم الدلالة اللغوية: د/ عبد التواب الأكرت ص ٣١.

(٢) فصول في علم الدلالة: د/ فتحي الدابولي ص ٥٢ .

(٣) في علم الدلالة اللغوية: د/ عبد التواب الأكرت ص ٣١.

على وزن – فَعَّال – تزيد في دلالاتها على كلمة « كاذب» – على وزن – فاعل– وقد استمدت هذه الزيادة من تلك الصيغة المعينة؛ فاستعمال كلمة «كذَّاب» يمدُّ السامع بقدر من الدلالة، لم يكن ليصل إليه أو يتصوره لو أن المتكلم استعمل «كاذب»[١] .

٣– الدلالة النحوية:

تلتزم كل لغة بنظام في تركيب الجملة، وتنظيم العلاقات بين كلماتها حتى يؤدي المعنى سليمًا واضحًا، فإذا اختل نظام الجملة باختلاف ترتيب كلماتها أو نظمها أدى ذلك بالضرورة إلى اختلاف المعنى، وقد يؤدي إلى فساده[٢] .

٤– الدلالة المعجمية أو الاجتماعية:

الدلالة المعجمية هي التي تهتم ببيان معاني المفردات للكلمات، وهي المعاني التي يرجع إليها أصحاب كل لغة في معاجم لغتهم.

وهناك من اللغويين المحدثين من يميل إلى تسمية هذا النوع من الدلالة باسم: الدلالة الاجتماعية[٣].

ويذكر الدكتور/ عبد التواب الأكرت– أيضًا – أن هناك «بعض اللغويين من المحدثين يميلون إلى التفرقة بين الدلالة المعجمية والدلالة الاجتماعية، فالدلالة المعجمية هي دلالة الكلمة داخل المعجم، أما الدلالة الاجتماعية، فهي دلالة الكلمة في الاستعمال، وقد يطلقون على المعنى المعجمي المعنى اللغوي، وهو كل ما يمكن أن تدل عليه الأصوات اللغوية والتركيب اللغوي على المعنى، أما المعنى الاجتماعي، فهو المعنى الذي يفهمه الفرد في المجتمع من ألفاظ لغته معه على هذا الفهم بقية أفراد المجتمع ... »[٤].

---

(١) دلالة الألفاظ: د/ إبراهيم أنيس ص ٣٦ بتصرف يسير.

(٢) فصول في علم الدلالة: د/ فتحي الدابولي ص ٦١، ٦٢.

(٣) ينظر: في علم الدلالة اللغوية: د/ عبد التواب الأكرت ص ٥٠ .

(٤) المصدر السابق نفسه ص ٥٠ .

٥ – الدلالة السياقية:

السياق من أهم العوامل المؤثرة في إفادة المعنى، لأن المعنى الذي تقوم به الكلمة يتأثر تأثرًا واضحًا بالسياق، فمعنى الكلمة يتغير بتغير السياق، وعلى هذا فإن معنى الكلمة لا يتوقف على المعنى المعجمي الموضوع لها في أصل اللغة، وإنما يأخذ اتجاهات أخرى نحو التخصيص، أو التعميم، أو الإطلاق، أو التقييد، أو الإجمال أو غير ذلك من الدلالات التي تكتسبها من السياق كالدلالة النفسية والدلالة الاجتماعية(١).

إذًا فالدلالة السياقية هي التي يعينها السياق اللغوي، وهو البيئة اللغوية التي تحيط بالكلمة أو العبارة أو الجملة، وتستمد – أيضًا– من السياق الاجتماعي، وسياق الموقف، وهو المقام الذي يقال فيه الكلام بجميع عناصره؛ من متكلم ومستمع، وغير ذلك من الظروف المحيطة، والمناسبة التي قيل فيها الكلام، والكلمة عندما توجد في جملة أو عبارة، فهي في سياق لغوي، وعندما تقال هذه الجملة أو هذه العبارة في مقام معين، أو موقف اجتماعي محدد، فإنه يمثل سياقها الاجتماعي، وهذان السياقان كلاهما يسهم في إيضاح دلالة الكلمة(٢).

ثالثًا: حول مفهوم السياق وأقسامه:

المقصود بمفهوم السياق:

مفهوم السياق في اللغة: تدور مادة « س و ق» في اللغة حول: حدو الشيء وتتابعه ومطاوعته(٣)، فيقال: « انْساقَت وتَساوَقَت الإبلُ تَساوُقاً إِذَا تَتَابَعَتْ... والمُساوَقة: المُتابعة كَأَنَّ بعضَها يَسُوقُ بَعْضًا ، والسِّياق: الْمَهْرُ...

(١) في علم الدلالة اللغوية: د/ عبد التواب الأكرت ص ٥٦ .

(٢) علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية: د/ فريد عوض حيدر ص ٦١.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة « س و ق» ١١٧/٣ .

قِيلَ لِلْمَهْرِ سَوْق لأَن الْعَرَبَ كَانُوا إِذَا تَزَوَّجُوا سَاقُوا الإِبل وَالْغَنَمَ مَهْرًا لأَنها كَانَتِ الغالبَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ ، والسَّيِّقُ مِنَ السَّحَابِ: الَّذِي تَسوقه الرِّيحُ وَلَيْسَ فِيهِ مَاءٌ ... » (١).

مفهوم السياق في الاصطلاح: يحدد الدكتور / محمد حسن جبل معنى السياق بأنه هو: « ما يتلو المفردة التي يراد بيان معناها أو يتقدمُها من عبارات تقضي: إما ببيان معناها أو بتعيين المعنى المراد من معانيها» (٢) .

ويُعرِّفه الدكتور/ فريد عوض حيدر بأنه: « البيئة اللغوية التي تحيط بالكلمة أو العبارة أو الجملة، وتستمد أيضًا من السياق الاجتماعي وسياق الموقف، وهو المقام الذي يقال فيه الكلام بجميع عناصره؛ من متكلم ومستمع، وغير ذلك من الظروف المحيطة، والمناسبة التي قيل فيها الكلام»(٣).

فالكلمة عندما توجد في جملة أو عبارة، فهي في سياق لغوي هذا السياق اللغوي هو الذي يحدد المعنى المراد والمقصود من الكلام، وعندما تقال هذه الجملة أو هذه العبارة في مقام معين أو موقف اجتماعي محدد، فإن هذا الموقف أو المقام الذي قيلت فيه هذه الجملة أو العبارة له دوره في تحديد المعنى المقصود، والمراد من الحديث الذي قيلت فيه العبارة (٤).

أقسام السياق:

قسم علماء اللغة المحدثون السياقات التي يمكن أن يتعدد المعنى على أساسها، فهي يمكن تصنيفها إلى الأقسام الآتية:

---

(١) لسان العرب « س و ق» ١٠/١٦٦، ١٦٧ بتصرف يسير .

(٢) المعنى اللغوي دراسة عربية مؤصلة نظريًا وتطبيقيًا: د/ محمد حسن جبل ص ٢٢٦.

(٣) علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية: د/ فريد عوض حيدر ص ٦١ .

(٤) ينظر: المصدر السابق نفسه ص ٦١.

١- السياق اللغوي:

وهو النصُّ المكتوب أو المنطوق الذي تتحدد معاني الكلمات من خلاله من أمثلة ذلك كلمة «يد» فهي تتنوع دلالتها تبعًا لتعدد السياقات واختلاف التراكيب منها:

١ – أعطيته مالاً عن ظهر يد: يعني تفضلاً ليس من بيع ولا مكافأة.

٢ – هم يد على من سواهم: إذا كان أمرهم واحدًا.

٣ – يد الله مع الجماعة أي: قوته ... (١).

ويضيف د/ منقور عبد الجليل أَنَّ: « السياق اللغوي يشرف على تغيير دلالة الكلمة تبعًا لتغيير يمسُّ التركيب اللغوي، كالتقديم والتأخير في عناصر الجملة فقولنا: «زيد أتم قراءة الكتاب» تختلف دلالتها اللغوية عن جملة: «قراءة الكتاب أتمها زيد»(٢).

٢- السياق العاطفي:

هو الذي يحدد درجة القوة والضعف في الانفعال، مما يقتضي تأكيدًا أو مبالغة أو اعتدالاً، فكلمة «يكره» غير كلمة « يبغض » رغم اشتراكهما في أصل المعنى(٣).

٣- السياق الثقافي:

هو الذي يقتضي تحديد المحيط الثقافي أو الاجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة، فكلمة « جذر » لها معنى عند المزارع، ومعنى ثان عند اللغوي، ومعنى ثالث عند عالم الرياضيات (٤).

---

(١) في علم الدلالة اللغوية: د/ عبد التواب الأكرت ص ١١٢ مقارنة بعلم الدلالة د/ أحمد مختار عمر ص ٦٩، ٧٠، وينظر: في علم الدلالة: د/ محمد سعد محمد ص ٣٩، ٤٠.

(٢) علم الدلالة: د/ منقور عبد الجليل ص ٩٠ .

(٣) علم الدلالة: د/ أحمد مختار عمر ص ٧٠، ٧١ .

(٤) علم الدلالة: د/ أحمد مختار عمر ص ٧١ .

٤ – سياق الموقف:

سياق الموقف، وهو يعني الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة، مثل استعمال كلمة « يرحم » في مقام تشميت العاطس: « يرحمك الله» (البدء بالفعل)، وفي مقام الترحم بعد الموت: « الله يرحمه» (البدء بالاسم)؛ فالأُولى تعني طلب الرحمة في الدنيا، والثانية طلب الرحمة في الآخرة، وقد دلَّ على هذا سياق الموقف إلى جانب السياق اللغوي المتمثل في التقديم والتأخير(١).

وعلى الرغم من هذا التقسيم السابق إلا أن بعض العلماء يكتفي بقسمين للسياق، وهما السياق اللغوي وسياق الحال، فالأول يعتمد على الكلام المنطوق، والثاني يعتمد على الظروف والملابسات المحيطة بالحدث الكلامي، وهذه الظروف الملابسة للحدث الكلامي تشمل بقية أنواع السياق؛ حيث لا يمكن فصل الانفعالات الخاصة بالمتحدث أو المستمع، أو فصل الظروف الاجتماعية أو المستوى الثقافي عن الموقف الكلامي، فالمجتمع وثقافته والأحداث الجارية فيه، وجميع ظروفه تشكل الشقَّ الثاني من المعنى، وهو المعنى الاجتماعي الذي يستفاد من خارج الكلام المنطوق (٢).

فالسياق اللغوي وسياق الموقف أو الحال هما اللذان تتمثل فيهما نظرية السياق، وإن كان السياق اللغوي هو الأهم؛ لأنه أكثر طواعية للملاحظة والتحليل (٣).

وفيا يلي يقوم البحث بالدراسة والتحليل والعرض لمادة « أ م ر » في القرآن الكريم ودلالتها السياقية، وذلك على النحو التالي:

---

(١) علم الدلالة: د/ أحمد مختار عمر ص ٧١ .

(٢) علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية: د/ فريد عوض حيدر ص ١٨١.

(٣) ينظر: في علم الدلالة: د/ محمد سعد محمد ص ٤٠.

المبحث الأول

المعاني الحقيقية لمادة " أ م ر » في القرآن الكريم ودلالتها السياقية

وهذا المعاني هي :

- بمعنى طلب الفعل على وجه اللزوم.
- بمعنى الشئون والأحوال.
- بمعنى القول.
- بمعنى التكليف والحث والحض على فعل الشيء.
- بمعنى القضاء والقدر.
- بمعنى الشيء.

أولاً: بمعنى طلب الفعل على وجه اللزوم:

« الأمر على حقيقته الذي هو ضد النهي »:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ ﴾ (١) .

بعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى ما أعدَّه للذين آمنوا، وعملوا الصالحات من نعيم مقيم بدخولهم جنات تجري من تحتها الأنهار، بيَّن سبحانه أعمال هؤلاء الصالحين، فذكر سبحانه عَمَلَيْنِ يجب الالتزام بهما، وشدد التنبيه عليهما بمادة « أ م ر»، وذلك للتشديد على أهميتهما؛ لما تقتضيه مادة «أمر» في حقيقتها من الدلالة على طلب الفعل على وجه اللزوم؛ فالعمل الأول هو: أمره سبحانه بأداء الأمانات إلى أهلها، والعمل الثاني: هو أمره بالحكم بين الناس بالعدل(٢) .

---

(١) سورة النساء من الآية (٥٨) .

(٢) ينظر: البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي ٣/٦٨٤.

وقد شدَّد الله تعالى في هذين العَمَلَيْنِ؛ وذلك لعظم شأنهما، فقال تعالى في عظم شأن الأمانة وتحملها: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (١)، وقد روى أبو هريرة في عظم ومكانة الأمانة أن النبي (ﷺ) قال: « نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ، حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ»(٢).

فمن أجل هذه المكانة، وعظم شأن الأمانة، وصعوبة تحملها، وما يلقاه مضيعها من مصير غير مرضٍ؛ لضياعه الحقوق، فمن أجل ذلك كله حذَّر الله سبحانه وتعالى، وشدَّد في الالتزام بها؛ فأمر بأدائها، واستخدم في ذلك صيغة «يأمركم» بالفعل المضارع؛ وذلك لدلالة المضارع على الحال والاستقبال؛ ولدلالة مادة « أمر» في حقيقتها على طلب الفعل على وجه اللزوم والوجوب.

وقد ذكر علماء التفسير لهذه الآية الأسباب التي نزلت فيها، فقد رُوي أنَّ «مفتاح الكعبة كان في يد بني شيبة، وكانت السقاية في يد بني هاشم، فلما فتح رسول الله (ﷺ) مكة دعا عثمان بن طلحة وطلب منه مفاتيح الكعبة، فخشي عثمان أن يعطيه إلى عمه العباس، فجاء بالمفتاح وقال لرسول الله (ﷺ) خذه بأمانة الله، فدخل رسول الله (ﷺ) البيت ... ثم خرج، فطلب منه العباس بأن يدفع إليه المفتاح، فنزلت هذه الآية **{ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا}** ثم صارت الآية عامة لجميع الناس بِردِّ الأمانات إلى أهلها، ويقال: نزلت في شأن اليهود، حيث كتموا نعت محمد (ﷺ)، وكانت أمانة عندهم فمنعوها، ويقال: هذا أمر لجميع المسلمين بأداء الفرائض وجميع

---

(١) سورة الأحزاب الآية (٧٢) .

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب: الصدقات– باب: التشديد في الدين، الحديث رقم (٢٤١٣) ٨٠٦/٢.

الطاعات؛ لأنها أمانة عندهم»[١].

وهناك مَنْ ذَكَرَ أن هذه الآية نزلت في ولاة أمور المسلمين[٢].

وسواء أكانت نزلت في وقت فتح مكة في ردِّ مفتاح الكعبة إلى عثمان بن أبي طلحة، أم كان المراد بها أمراء المسلمين بأن يؤدوا الأمانة في أموال المسلمين أم أنها نزلت عامة «فإن نزولها على سبب لا يمنع عموم حكمها فإنها عامة في الودائع وغيرها من الأمانات»[٣]، وأن المراد بالأمر هو دلالته دلالته على وجه الحقيقة، وهو طلب الالتزام بأداء الأمانة، والحرص على ردِّها لأصحابها.

***

قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[٤].

يخاطب الله تعالى نبيه الكريم (ﷺ) قائلاً له: واذكر أيها الرسول للناس يوم القيامة حين نبعث في كل أمة شهيدًا عليهم من أنفسهم، أي من بينهم وجنسهم وبلغتهم لمعذرتهم، وشهيد كل أمة نبيها يشهد لها أو عليها بما كان منها من الاستجابة له أو الإعراض عنه، والصد عن سبيله، وأحضرناك يا محمد يومئذ شهيدًا على أمتك، وكذلك شهيدًا على الأمم، وآتيناك القرآن مبيِّناً

---

(١) بحر العلوم للسمرقندي ٣١١/١، ٣١٢ بتصرف يسير.

(٢) ينظر: تفسير الماوردي ٤٩٨/١.

(٣) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٤٢٣/١، وينظر: تفسير القرطبي ٢٥٦/٥، وفتح القدير للشوكاني ٥٥٥/١.

(٤) سورة النحل الآيتان (٨٩، ٩٠) .

لأحكام كل شيء وهدىً ورحمةً وبشرى للمسلمين[١] .

ومن هذا الهدى والبيان اتباع ما أمر الله به، واجتناب ما نهى الله عنه؛ فالله سبحانه وتعالى: « يأمر بالعدل وهو القسط والتسوية في الحقوق فيما بينكم وترك الظلم وإيصال كل ذي حق حقه، والإحسان أي: التفضل بأن يقابل الخير بأكثر منه، والشر بأن يعفو عنه، وإيتاء ذي القربي أي: إعطاء القرابة ما يحتاجون إليه، وينهى عن الفحشاء أي: عما فحش من الذنوب وأفرط قبحها كالزنى، والمنكر أي كل ما أنكره الشرع، والبغي أي: العدوان على الناس، يعظكم أي: بما يأمركم وينهاكم لعلكم تذكرون، أي: تتعظون بمواعظ الله؛ فتعملون بما فيه رضا الله تعالى»[٢].

وقد ورد في فضل هذه الآية الكثير من الروايات التي تدل على مكانتها وفضلها، فرُوي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: « إِنَّ أَجْمَعَ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ »[٣].

وذكر البيضاوي في فضلها: « إنها سبب إسلام عثمان بن مظعون (رضي الله عنه) ولو لم يكن في القرآن غير هذه الآية لصدق عليه أنه تبيان لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين»[٤].

ويذكر علماء البلاغة أنها اشتملت على الكثير من فنون البلاغة، فهي اشتملت على: « الإيجاز، فقد أمر في أول الآية بكل معروف ونهى بعد ذلك

---

(١) ينظر: التفسير الوسيط لمجمع البحوث الإسلامية ٦٦٧/٥، ٦٦٨ .

(٢) محاسن التأويل للقاسمي ٤٠٢/٦.

(٣) رواه أبو عبد الله الحاكم في المستدرك على الصحيحين في كتاب التفسير – باب: تفسير سورة النحل الحديث (٣٣٥٨) ٣٨٨/٢.

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ٢٣٨/٣ .

عن كل منكر، واشتملت أيضًا على صحة التقسيم، والطباق اللفظي، والمقابلة، وحسن النسق، وحسن البيان، والائتلاف... »[١].

وإذا نظرنا إلى مادة « أمر» نجدها جاءت للدلالة على معناها الحقيقي، وهو طلب الفعل على وجه اللزوم والاستعلاء، وذلك استنادًا إلى ما يلي:

١- المكانة الرفيعة، والمنزلة السامية للأمور التي أمر الله تعالى بها، وألزم باتباعها؛ فقد وصفها ابن مسعود بأنها: « أجمع آية في القرآن للخير والشر...»، فالالتزام بهذه الأوامر من مراعاة الإنصاف، وعدم الظلم والإحسان بأن تعبد الله كأنك تراه، وإيتاء ذي القربى، والعمل على التكافل، وصلة الرحم، فهذه التكاليف الثلاثة إذا التزمت بها الأمة، واجتنبت ما نهى الله عنه كانت كفيلة بالنجاة والفوز بالدارين؛ لذلك أمر بها الله تعالى على سبيل الأمر الحقيقي والإلزام.

٢- ما ذكره الطاهر بن عاشور من أن: «هذه الآية جمعت أصول الشريعة في الأمر بثلاثة، والنهي عن ثلاثة»[٢].

٣- وجود التأكيد في قوله تعالى: « **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ** ... » له دلالته على عظم شأن المأمور به، وأن هذا الأمر على حقيقته.

٤- وجود الطباق بين الفعل «يأمر» و «ينهي» يدل دلالة واضحة على أن المقصود هو حقيقة الأمر، وكذلك حقيقة النهي، وإثارة الذهن، وجذب انتباه السامع؛ لتقوية المعنى؛ وذلك لعظم مكانة ما أمر الله به، ومن ثَمَّ اتباعه، واجتناب ما نهى الله عنه، والحذر منه، فمن أجل ذلك كله كانت دلالة مادة « أمر» على حقيقتها في الاستعمال.

***

(١) ينظر: إعراب القرآن وبيانه لمحي الدين درويش ٣٥٥/٥، ٣٥٦ .

(٢) التحرير والتنوير ٢٥٨/١٤.

قوله تعالى: ﴿ مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ١٥ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴾ (١).

تعددت معاني مادة (أ م ر) في قوله تعالى: « **أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا** »؛ وذلك نظرًا لاختلاف القراءات القرآنية الواردة في الفعل «أَمَرْنَا»، فكان لكل قراءة من القراءات معناها، والتوجيه الخاص بها، وفيما يلي تلخيص للقراءات الواردة، والمعنى الخاص بكل قراءة:

١- **القراءة الأولى:** « أَمَرْنَا» مقصور مخفف، وهذه القراءة هي التي عليها الأئمة السبعة من القراء، وعلى هذه القراءة يكون في «أَمَرْنَا» معنيان:

المعنى الأول: يكون الأمر على معناه الحقيقي، وهو الأمر الذي ضد النهي، أي: أمرنا مترفيها بالطاعة؛ لأن الله تعالى لا يأمر إلا بها، ففسقوا فيها، أي: فعصوا بالمخالفة، وهذا المعنى قاله ابن عباس (٢).

المعنى الثاني: بعثنا مستكبريها، قاله هارون، وهي في قراءة أُبَيٍّ: بعثنا أكابر مجرميها(٣).

٢- **القراءة الثانية:** « أَمَّرْنا » بتشديد الميم، وعلى ذلك يكون المعنى: جعلنا لهم إمارة وسلطانًا، وجعلناهم أمراء مسلطين(٤).

٣- **القراءة الثالثة:** « آمَرْنا » ممدود، ومعناه أَكْثَرْنا عددَهم، من قولهم: آمر

---

(١) سورة الإسراء الآيتان (١٥، ١٦) .

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٣١/٣، ٢٣٢، والحجة في القراءات السبع لابن خالويه ٢١٤/١، ومعاني القراءات للأزهري ٨٩/٢، ٩٠، وتفسير الماوردي ٢٣٥/٣ .

(٣) ينظر: تفسير الماوردي ٢٣٥/٣.

(٤) ينظر: معاني القراءات للأزهري ٩٠/٢، وتفسير الماوردي ٢٣٥/٣.

القوم، إذا كثروا؛ لأنهم مع الكثرة يحتاجون إلى أمير يأمرهم وينهاهم[١].

هذه هي مجمل القراءات القرآنية التي ذكرها القُرَّاءُ، والمعاني المتناسبة مع كل قراءة، ولكن إذا أمعنا النظر في هذه الأوجه السابقة لوجدنا أن البحث يرجح ويؤيد المعنى الأول؛ وذلك لما يلي:

١- أن القراءة الأولى « أمَرْنا» بالقصر والتخفيف هي القراءة التي عليها الأئمة السبعة، وكذلك عليها الجمهور من القُرَّاءِ، وهي القراءة المشهورة، والتي عليها الرسم العثماني، ومن المعروف أن معنى الأمر على هذه القراءة هو الأمر الذي ضد النهي.

٢- السياق اللغوي في القرآن الكريم يؤيد هذا المعنى؛ وذلك لأن الله تعالى أمرهم بالطاعة ففسقوا، وليس معناه أمرهم بالفسق ففسقوا؛ لأنه – سبحانه وتعالى – لا يأمر بالفسق ولا بالفحشاء، ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾[٢][٣].

٣- كذلك وجود قرينة لغوية أخرى في نفس الآية، وهي قوله: « **فَفَسَقُوا فِيهَا**»، ومن المعروف أن الفسق هو الخروج عن أمر الله؛ فكونهم فسقوا وخرجوا عن أمر الله؛ فذلك يستوجب أن الأمر الذي أُمروا به هو طاعة الله، فلم يطيعوا الله، وخرجوا عن أمره، وفسقوا؛ لذا وجب عليهم العذاب[٤]، فالمأمور به من الله تعالى شيء غير المعصية؛ لأن المعصية منافية للأمر مناقضة له، فكذلك أمرته ففسق يدل على أن المأمور به

---

(١) ينظر: تفسير الماوردي ٢٣٦/٣، وتفسير الرازي ٣١٤/٢٠.

(٢) سورة الأعراف من الآية (٢٨).

(٣) ينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي ٣١٦/٨.

(٤) ينظر: معاني القراءات للأزهري ٩٠/٢.

شيء غير الفسق؛ لأن الفسق عبارة عن الإتيان بضد المأمور به[١].

٤- اختيار القُرَّاءِ والمفسرين، وأهل العلم لهذا المعنى، وترجيحهم له؛ فهو الأَولى بالقبول عندهم؛ حيث يقول الإمام الطبري في تفسيره: « وأَولى القراءات في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأ « أَمَرْنا مترفيها» بقصر الألف من أمرنا، وتخفيف الميم منها؛ لإجماع الحجة من القُرَّاءِ على تصويبها دون غيرها، وإذا كان هو الأولى بالصواب بالقراءة، فأولى التأويلات به تأويل من تأوله: أمرنا أهلها بالطاعة فعصوا وفسقوا فيها فحق عليهم القول ، لأن الأغلب من معنى أمرنا : الأمر الذي هو خلاف النهي دون غيره ... »[٢].

٥- أن القراءة الأُولى، وهي التي تدل على معنى الأمر على حقيقته، وهو الأمر الذي ضد النهي، فهو معنى عام شامل، يشمل جميع المعاني الأخرى، وهذا ما صرح به القرطبي عند قوله: « واختار أبو عبيد وأبو حاتم قراءة العامة، قال أبو عبيد: وإنما اخترنا أَمَرْنا؛ لأن المعاني الثلاثة تجتمع فيها من الأمر والإمارة والكثرة»[٣].

٦- أن حمل الكلام على الحقيقة – كما سار جمهور المفسرين – أولى من حمله على المجاز[٤]؛ لذا كان المعنى الأَولى بالقبول هو المعنى الأول، وهو أن هذا الأمر على حقيقته، وهو طلب الطاعة، أي: أمرنا مترفيها بالطاعة ففسقوا فيها.

---

(١) ينظر: فتح القدير للشوكاني ٢٥٥/٣.

(٢) تفسير الطبري ٤٠٦/١٧، وينظر: معاني القراءات للأزهري ٩٠/٢، وتفسير الرازي ٣١٤/٢٠، وفتح القدير للشوكاني ٢٥٥/٣، والتفسير الوسيط لطنطاوي ٣١٦/٨.

(٣) تفسير القرطبي ٢٣٤/١٠، وينظر: اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي ٢٣٨/١٢.

(٤) ينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي ٣١٦/٨.

ثانيًا: بمعنى الشئون والأحوال:

قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ (١)

في الآيتين السابقتين، وما سبقهما من آيات يحث الله تعالى عباده المؤمنين على الاعتصام بحبل الله، وعدم التفرق، والتمسك بكتاب الله وعهده، مذكِّرًا إياهم بنعمته التي أنعم بها عليهم بمجيء الإسلام، وتأليفه بين قلوبهم بعد أن كانوا أعداء يقتل بعضهم بعضًا، ويأكل القوي منهم الضعيف، فصاروا بنعمة الله وفضله وبمجيء الإسلام إخوانًا حتى قاسم الأنصار المهاجرين أموالهم وديارهم، وكان بعضهم يؤثر غيره على نفسه، ولتكن منكم أيها المؤمنون أمة تأمر بالخير وتنهى عن المنكر، واذكروا يوم تبيض وجوه، وتُسرُّ لما تعلم من حسن العاقبة، وتسود وجوه لما ترى من سوء العاقبة، ... فلله تعالى ما في السماوات وما في الأرض، فهو سبحانه مالك العباد والمتصرف في شئونهم، وإليه ترجع جميع شئون خلقه(٢).

فالشاهد معنا– هنا – كلمة « الأمور»، فهي من الألفاظ المشتركة التي تدل على الكثير من المعاني، وهذه المعاني منها ما هو حقيقي، ومنها ما هو مجازي، والذي يحدد المعنى المراد هو السياق الذي وردت فيه، والاستخدام القرآني لها فهي– هنا – جاءت على حقيقتها، وعلى أصل وضعها اللغوي الذي وضعت له، وهو الدلالة على معنى الحال والشأن.

وقد صرح بهذه الدلالة الفيروزآبادي عند حديثه عن معاني مادة " أ م ر" قائلاً: « والأمر ورد في نص التنزيل على ثمانية عشر وجهًا ... الثالث عشر: بمعنى الشأن والحالة: كما في قوله تعالى:﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾»(٣).

---

(١) سورة آل عمران الآيتان (١٠٨، ١٠٩) .

(٢) ينظر: تفسير المراغي ١٨/٤ وما بعدها .

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٤١/٢ بتصرف يسير، وينظر: التفسير الوسيط في القرآن الكريم: د/ محمد سيد طنطاوي ٢١١/٢.

وبمثل هذا المعنى فسَّر العلماء كلمة الأمور في قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ [1]، فيقولون: « والأمر: بمعنى الشأن ... وترجع الأمور أي: أمور الدنيا والآخرة أي: شئونهما كلها الدينية والدنيوية والجزائية، وكل شيء»[2].

﴿لِيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗاۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾[3] فيقول الشيخ الجكني الشنقيطي: « الأمور: جمع أمر، ويعم كل الشئون»[4] .

إذًا فمن خلال ما سبق يتبين أن صيغة الجمع « الأمور» في قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ وردت في أكثر من موضع في القرآن الكريم، وجاءت بمعناها الحقيقي، وهو الدلالة على الشأن والحال.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ٩٦ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ﴾ [5].

في الآيتين السابقتين يُصور لنا الله تعالى ما حدث مع سيدنا موسى (عليه السلام)، فأرسل الله تعالى موسى ومعه الآيات البينات من التوراة، والمعجزات التي تدل دلالة واحدة على وجود الله سبحانه وتعالى، والتي تؤكد لجميع الملأ أن فرعون ما هو إلا بشر لا يضر ولا ينفع، ولكنَّ القوم اتبعوا فرعون، وما هو عليه من كفره وعناده وأفعاله وضلاله، وما أَمْرُ فرعون وشئونه وأحواله وتصرفه برشيد، ولا تصرف صالح حميد العاقبة، بل هو محض غيٍّ وضلال وظلم وفساد، وليست تصرفات رشيدة أو صحيحة؛

---

(١) سورة البقرة الآية (٢١٠) .

(٢) ينظر: تفسير الفاتحة والبقرة لمحمد العثيمين ١٤/٣ ومعجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن لحسن الجمل ١٠٢/١ .

(٣) سورة الأنفال الآية (٤٤) .

(٤) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير ٧٤/٥.

(٥) سورة هود الآيتان (٩٦، ٩٧) .

فيتبعوه عليها[١].

فالشاهد معنا – هنا – دلالة مادة « أمر» على الشأن والحال، وهو معنى حقيقي لهذه المادة، ويؤكد هذه الدلالة الحقيقية ما ذكره المفسرون عند تفسيرهم لهذه الآية، فيذكر لنا ذلك ابن العربي الإشبيلي قائلاً: « والأمر يرد في اللغة بمعنيين: أحدهما بمعنى الشأن، كقوله تعالى: { **فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ}**، والثاني أنه أحد أقسام الكلام الذي يقابله النهي ...» [٢].

ويفسر القرطبي هذه الآية بقوله: « أَمْرُ فرعون: أي شأنه وحاله حتى اتخذوه إلاها، وخالفوا أمر الله تعالى... »[٣]

فبذلك يكون معنى « **مَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ**» أي: ما شأنه وتصرفه بذي رشد وهدى، بل هو محض الغَيِّ والضلال»[٤] .

وبالرجوع إلى كتب الوجوه والنظائر نجد صحة هذه الدلالة، وهذا المعنى الحقيقي، وأن لفظ « أَمْر» جاء – هنا – بمعناه الحقيقي، وهو الشأن والفعل والحال[٥].

***

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ١٤٧/٣ وتفسير المراغي ٧٩/١٢ .
(٢) أحكام القرآن لابن العربي الإشبيلي ٤/ ١٢٢ .
(٣) تفسير القرطبي ٩٣/٩، ١٦٤/١٦.
(٤) ينظر: تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ١٢/ ١٢٥.
(٥) ينظر: الوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤٣، وينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي ٣٩/٢.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ (١) .

يخاطب الله تعالى رسوله الكريم مبيِّنًا أنه كما أوحينا إلى سائر رسلنا أوحينا إليك هذا القرآن رحمة من عندنا، ما كنت قبل الأربعين وأنت بين ظهراني قومك تعرف ما القرآن، ولا تفاصيل الشرائع ومعالمها على النهج الذي أوحينا به إليك، ولكن جعلنا هذا القرآن نورًا عظيمًا نهدي به من نشاء هدايته من عبادنا، ونرشده إلى الدين الحق، وإنك لتهدي بذلك النور من تشاء هدايته إلى الحق القويم، هذا الطريق هو الطريق الذي شرعه الله مالك السماوات والأرض والمتصرف فيهما، ألا إن أمور جميع الخلائق، وجميع شئونهم، وأحوالهم ترجع إلى الله وحده(٢).

يختتم الله سبحانه سورة الشورى بتنبيهه على مآل ومرجع جميع شئون وأحوال وأمور جميع الخلائق إليه يوم القيامة، فيحكم فيها سبحانه بحكمه وهو أحكم الحاكمين.

فنلاحظ أن لفظ «الأمور» جاء على معنى من معانيه الحقيقية، وهو الشئون والأحوال، وقد صرح بذلك الدامغاني في كتابه الوجوه والنظائر، وذلك عند ذكره لمعاني « الأمر» في القرآن الكريم قائلاً: « والوجه الرابع عشر، الأمر: الفعل والشأن، كقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ (٣) يعني: الشئون»(٤) .

---

(١) سورة الشورى الآيتان (٦٢، ٥٣) .

(٢) ينظر: تفسير المراغي ٦٥/٢٥.

(٣) سورة الشورى الآية (٥٣) .

(٤) الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز للدامغاني ص ٤٣.

ويؤكد الطاهر بن عاشور هذا الاستخدام الحقيقي لدلالة مادة (أمر) – هنا– في لفظ « الأمور» – على معنى الشئون والأحوال، حيث يقرر ذلك عند قوله: « والأمور: الشئون والأحوال والحقائق وكل موجود من الذوات والمعاني»(١) .

فبذلك يكون معنى قوله تعالى:﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ أي: إلى الله وحده لا إلى غيره يرجع شأن الخلق، وأمورهم كلها يوم القيامة(٢).

***

ثالثًا: بمعنى القول:

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۗ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ (٣).

يحدثنا القرآن الكريم عن قصة أصحاب الكهف، وموقف أهل القرية التي كان بها الكهف في ذلك الوقت، وما دارَ بينهم من تنازع واختلاف حول هؤلاء الفتية الصالحين؛ فاختلفوا فيما بينهم؛ فتنازع أهل ذلك الزمان في قدر مكثهم في الكهف، وفي عددهم، وفيما يفعلون بعد أن اطَّلعوا عليهم(٤).

وإذا أمعنا النظر في المراد من لفظ « أمرهم»– هنا– في هذه الآية لوجدنا أن المفسرين فسروها بمعنيين:

المعنى الأول: أنها بمعنى القول، أي: إذ يتنازعون بينهم في أقوالهم وآرائهم، فقال قوم منهم: نبني بنياناً عليهم، وقال قوم آخرون: نبني عليهم

---

(١) التحرير والتنوير ١٥٦/٢٥ .

(٢) ينظر: التفسير الوسيط لمجمع البحوث ٧٧٨/٩.

(٣) سورة الكهف الآية (٢١) .

(٤) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي ١٤١/٣ .

مسجدًا، وكذلك اختلفت أقوالهم في عدد أصحاب الكهف.

وهذا المعنى هو الذي ذهب إليه جمهور المفسرين، وعلى رأسهم علماء الوجوه والنظائر؛ فيشير إلى ذلك مقاتل في تفسيره قائلاً: «يعني: إذ يختلفون في القول في أمرهم فكان التنازع بينهم أن قالوا: كيف نصنع بالفتية؟ قال بعضهم نبني عليهم بنياناً، وقال بعضهم لنتخذن عليهم مسجدًا»(١) .

ويصرح أبو هلال العسكري بذلك عند قوله: « الأمر وهو في القرآن على سبعة عشر وجهًا ... الثاني: القول، قال الله تعالى: ﴿إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ قال: فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى أي: يتنازعون القول فيما يريدون العمل عليه؛ لأن مثل ذلك الأمر لا يتنازع، وإنما يتنازع القول فيه»(٢) .

المعنى الثاني: هو بمعنى الشأن والحال(٣)، وهذا المعنى قليل الورود عند المفسرين في هذا الموضع.

والسياق يرشح ويعضد المعنى الأول، وهو تنازعهم واختلافهم في أقوالهم، فكل طائفة أدلت بقولها ورأيها، وقد جاء السياق اللغوي مبيِّنا وموضِّحا أقوال هؤلاء القوم، وآراءهم التي أدلوا بها، وذلك في قوله تعالى بعدها: ﴿فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ (٤) فتكملة هذه الآية وما بعدها يُعَدُّ تفصيلاً لهذا المجمل، وتوضيحًا

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ٢/٥٨٠ بتصرف يسير، وينظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس المنسوب لابن عباس ص ٢٤٥.

(٢) الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري ص ٧١، وينظر: الوجوه والنظائر لألفاظ الكتاب العزيز ص ٤٠ وبصائر ذوي التمييز ٢/٤٠.

(٣) ينظر: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب ٩/٤٣٤.

(٤) سورة الكهف الآية (٢١) .

لما اختلفوا فيه من آراء وأقوال فيما بينهم.

وقد ذكر ابن الجوزي أنهم تنازعوا فيما بينهم في خمسة أقوال: «أحدها: أنهم تنازعوا في البنيان، والمسجد. فقال المسلمون: نبني عليهم مسجداً، لأنهم على ديننا وقال المشركون: نبني عليهم بنياناً، لأنهم من أهل سُنَّتنا، قاله ابن عباس، والثاني: أنهم تنازعوا في البعث، فقال المسلمون: تُبعث الأجساد والأرواح، وقال بعضهم: تُبعث الأرواح دون الأجساد، فأراهم الله تعالى بعث الأرواح والأجساد ببعثه أهل الكهف، قاله عكرمة. والثالث: أنهم تنازعوا ما يصنعون بالفتية، قاله مقاتل، والرابع: أنهم تنازعوا في قَدْر مكثهم. والخامس: تنازعوا في عددهم، ذكرهما الثعلبي»(١).

فهذه الأقوال والآراء هي التي اختلفوا، وتنازعوا، وتحدثوا فيها فيما بينهم؛ لذا كان المراد من أمرهم قولهم وآراءهم.

***

قوله تعالى: ﴿ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ ٦٢ قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ﴾ (٢).

يحدثنا القرآن الكريم عن موقف سيدنا موسى (عليه السلام) مع فرعون وملَئِهِ، وما فعله فرعون من جَمعه للسحرة، وظنه بأن ما جاء به موسى من السحر، وأن مناظرة السحرة لموسى سوف تبطل ما جاء به موسى (عليه السلام) من دعوة ورسالة، فقام فرعون بجمع كل ساحر عليم، وظل السحرة يتشاورون فيما بينهم، يقول كل منهم ما عنده ويبدي رأيه؛ لينظروا ماذا يفعلون تجاه موسى، واجتمع السحرة في اليوم المحدد، وألقى كل منهم أقصى ما وصل إليه من السحر، ثم ألقى موسى (عليه السلام) العصا التي في يمينه، فإذا هي تلقف ما

(١) زاد المسير ٣/٧٤.

(٢) سورة طه الآيتان (٦٢، ٦٣) .

صنعوا، فألقى السحرة سجدًا، وقالوا آمنا برب هارون وموسى.

الشاهد معنا – هنا– هو تحديد دلالة لفظ الأمر، وتعيين المعنى المراد منها، والذي يتناسب وسياق الآيات، وعند الرجوع إلى كتب التفسير وأقوالهم في ذلك نجد أنهم حددوا دلالة هذا اللفظ في هذا الموضوع بمعنى القول، أي: فتشاوروا وتناظروا بقولهم ورأيهم.

يقول مقاتل بن سليمان في تفسيره: ﴿ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ ﴾ يعني اختلفوا في قولهم بينهم»(١).

وأورد القرطبي هذا المعنى في تفسيره عند قوله: « الأمر واحد الأمور ... قال علماؤنا: والأمر في القرآن يتصرف على أربعة عشر وجهًا: الأول: الدين... الثاني: القول: كقوله تعالى: ﴿ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ ﴾ يعني: قولهم»(٢).

ويؤيد علماء الوجوه والنظائر هذا المعنى؛ فيصرح به أبو هلال العسكري قائلاً: « الأمر وهو في القرآن على سبعة عشر وجهًا ... الثاني: القول ... قال تعالى:﴿ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ ﴾ أي: يتنازعون القول فيما يريدون العمل عليه؛ لأن مثل ذلك الأمر لا يتنازع، وإنما يتنازع القول فيه»(٣).

وإذا نظرنا إلى تكملة الآية لوجدنا بها ما يؤيد هذا المعنى؛ فالآية الكريمة فيها سياق لغوي يؤكد ويعين هذا المعنى؛ فقوله تعالى بعدها في نفس

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ٣١/٣ .

(٢) تفسير القرطبي ٨٨/٢، وينظر: اللباب في علوم الكتاب ٤٢٥/٢، وتفسير الثعالبي ٥٨/٤ والتفسير المنير للزحيلي ٢٩٢/١.

(٣) الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري ص ٧١ .

الآية: « **وَأَسَرُّوا النَّجْوَى**» بمعنى: « أخفوا الكلام»[١] والقول الذي كانوا يتنازعون ويتشاورون فيه.

فمن المعروف أنه لا يخفى الكلام، ولا القول، ولا يخفض الصوت إلا مع وجود حديث في أَمْرٍ معين، وكذلك سياق حال هؤلاء السحرة يؤكد هذا المعنى، فلا يكون التنازع والتشاور فيما بينهم إلا عن طريق الكلام، وقول كل منهم رأيه الذي يراه.

***

رابعًا: بمعنى التكليف والحث والحض على فعل الشيء:

قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ [٢].

بعد أن حث شعيب قومه على عبادة الله وحده، وعدم النقص في الكيل والميزان... فهم بعدها يجادلونه، وهم مقتنعون بما هم فيه من ضلال، فيقولون: يا شعيب أصلاتك تأمرك وتكلفك بأن نترك ما سار عليه آباؤنا جيلاً إثر جيل من عبادة الأوثان والأصنام، وإسناد الأمر إلى الصلاة دون غيرها من العبادات؛ لأنه كان كثير الصلاة معروفًا بذلك حتى إنهم كانوا إذا رأوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا، فهل صلاتك تكلفك بأن نترك فعلنا ما نشاء في أموالنا من التطفيف وغيره من التنمية والاستغلال، والتصرف في الكسب بما نستطيع من الخديعة والاحتيال؛ فإنك يا شعيب ذو الجهالة والسفاهة في الرأي، والغواية في الفعل بهوس الصلاة، وعبروا عن ذلك بعكسه، وذلك من باب التهكم والاستهزاء[٣].

---

(١) ينظر: تفسير السمرقندي ٤٠٣/٢.

(٢) سورة هود الآية (٨٧) .

(٣) ينظر: تفسير المراغي ٧٢/١٢، ٧٣ .

وعند النظر لمادة « أ م ر» في الفعل « تأمرك» نجد أنها تدل على معنى التكليف، والحث، والحض، وهي من المعاني الحقيقية لمادة « أ م ر» .

فيوضح لنا الزمخشري ذلك عند قوله: « ومعنى تأمرك أن نترك: تأمرك بتكليف أن نترك ما يعبد آباؤنا لحذف المضاف الذي هو التكليف»(١).

ويصرح بذلك – أيضًا– صاحب تفسير" إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم " قائلاً: «الترك ليس مأمورًا به على حقيقته بل المأمور به تكليفه عليه السلام إياهم وأمره بذلك، والمعنى أصلاتك تأمرك أن تكلفنا أن نترك ما يعبد آباؤنا»(٢).

ويصرح بهذا المعنى علماء مجمع اللغة العربية بالقاهرة في معجمهم المتخصص معجم ألفاظ القرآن الكريم، وفيه أن معنى « تأمرك» أي: تكلفك(٣).

فمادة « أ م ر» – هنا– جاءت في الاستعمال القرآني على معناها الحقيقي، وهو التكليف، والحث، والحض على فعل الشيء.

***

قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (٤).

في الآيتين السابقتين يبين الله تعالى فيهما حال أهل السماوات وأهل الأرض، وما فيهما من ملائكة ومخلوقات، وهيئتهم مع خالقهم، فجميع من في السماوات، وجميع ما يدبُّ على الأرض من مخلوقات، وكذلك الملائكة

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٤١٩/٢ وينظر اللباب في علوم الكتاب ٥٤٧/١٠ .

(٢) تفسير أبي السعود لأبي السعود العمادي ٢٣٣/٤، وينظر: تفسير المظهري ١١٠/٥.

(٣) ينظر: معجم ألفاظ القرآن الكريم لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ١/ ٧٧ .

(٤) سورة النحل الآيتان (٤٩، ٥٠) .

فهم يسجدون لله تعالى، ويسبحون بحمده، ولا يستكبرون ولا يعصون الله فيما أمرهم، فهم يخشون ربهم، ويخافونه، ويفعلون ما يكلفون به.

ومن الجدير بالملاحظة أننا نجد أن مادة « أ م ر» في الفعل المضارع المبني للمجهول « يُؤمرون» جاءت دلالتها على المعنى الحقيقي « **وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** » أي: يفعلون ما يكلفون به، وما يحضهم الله عليه من التزام أوامره، واجتناب ما نهى عنه.

ويفسر الإمام البيضاوي هذه الآية بقوله: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ أي ينقاد انقيادًا يعم الانقياد لإرادته وتأثيره طبعًا والانقياد لتكليفه وأمره طوعًا ليصبح إسناده إلى عامة أهل السماوات والأرض... ويفعلون ما يؤمرون من الطاعة والتدبير، وفيه دليل على أن الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء»(١) .

فمن صفات الملائكة أنهم يخافون ربهم الذي هو من فوقهم بجلاله وقهره وعلوه، ويفعلون ما يؤمرون به من الطاعات ومِنْ كُلِّ ما يكلفهم به – سبحانه – دون أن تصدر منهم مخالفة(٢).

وبذلك يكون معنى قوله تعالى: « **وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** » أي يُؤدون كل ما يُوجهون إليه في سلوكهم، فشأنهم المثابرة على العبادة، وتنفيذ ما يكلفون به من التدبيرات في كون الله تعالى»(٣).

فبذلك تكون مادة « أ م ر» في هذه الآية جاءت على معنى من معانيها الحقيقية، وهو معنى التكليف، والحث، والحض على فعل الشيء.

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل٣/٢٢٩ وينظر: التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٢٨/٣٦٦.

(٢) ينظر: التفسير الوسيط: د/ محمد سيد طنطاوي ٨/١٦٥.

(٣) التفسير الوسيط لمجمع البحوث الإسلامية ٥/٦٢٨.

خامسًا: بمعنى القضاء والقدر:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (١).

المعنى العام – هنا – إن ربكم الله الذي له عبادة كل شيء، ولا تنبغي العبادة إلا له، هو الذي خلق السماوات السبع، والأراضين السبع في ستة أيام، وانفرد بخلقهما بغير شريك، ولا ظهير، ثم استوى على عرشه مدبرًا للأمور، وقاضيًا في خلقه ما أحب، لا يضاده في قضائه أحد، ولا يتعقب تدبيره متعقب، ولا يدخل أموره خلل، ولا يشفع عنده شافع يوم القيامة في أحد، إلا من بعد أن يأذن له في الشفاعة(٢).

لفظ الأمر: هو اسم مبهم مثل لفظ شيء، فمن أجل ذلك تنوعت دلالاته ومعانيه، وذلك بحسب السياق الوارد فيه، فله دلالاته الحقيقية، وهناك – أيضًا– دلالاته المجازية، ولا نستطيع الفصل بينها أو تحديد المعنى المراد منها إلا عن طريق القرائن الدالة والمساعدة على تعيين ذلك المعنى.

ففي هذه الآية وردت كلمة (الأمر) بمعنى حقيقي حدده السياق ألا وهو معنى القضاء، وهذا الرأي هو الذي عليه المفسرون؛ فيصرح أبو محمد التستري بهذه الدلالة قائلاً: « قوله: « **يُدَبِّرُ الْأَمْرَ** » أي: يقضي القضاء وحده، فيختار للعبد ما هو خير له، فخيرة الله خير له من خيرته لنفسه»(٣).

ويبين ذلك الماتريدي في تفسيره موضحًا: « يدبر الأمر: أي يقضيه، والتدبير والقضاء واحد، وقال بعضهم: يدبر: أي: يقدر، وهو ما ذكرنا التدبير والتقدير سواء»(٤).

---

(١) سورة يونس الآية (٣).

(٢) ينظر: تفسير الطبري ١٨/١٥ .

(٣) تفسير التستري ٧٦/١.

(٤) تفسير الماتريدي ٧/٦.

فهو يقصد أن: معنى الأمر: هو القضاء والقدر، ومعنى يُدَبِّر: أي: يقدر؛ فيكون معنى يدبر الأمر: أي يقدر القضاء؛ لذلك كانت هذه المعاني متقاربة، فالتدبير، والتقدير، والقضاء جميعها متقاربة.

ويفسر بذلك – أيضًا– السمرقندي عند قوله: « يدبر الأمر: يعني: يقضي القضاء وينظر في تدبير الخلق»(١).

وهذا المعنى هو الذي استقرَّ عليه أصحاب مؤلفات الوجوه والنظائر، فهم يفسرون الأمر في هذا الموضع بمعنى القضاء(٢).

فالله تعالى هو الخالق لكل شيء، وهو وحده الذي يدبر ويقضي ويقدر حسب مقتضى الحكمة، ويفعل ما يفعل المتحري للصواب الناظر في أدبار الأمور وعواقبها(٣).

فالسياق والمقام يقتضيان أن يكون المعنى المراد في هذه الآية الكريمة في قوله: « **يُدَبِّرُ الْأَمْرَ** »، أي: يقدر ويقضي كيفما يشاء، فهو القادر على كل شيء، وهو الخالق للسماوات والأرض ومن فيهن، ثم استوى على العرش سبحانه وتعالى، لا رادَّ لقضائه، ولا معقب لحكمه يدبر الأمر، ويقدره، ويقضي فيه بمشيئته سبحانه وتعالى.

***

(١) بحر العلوم ١٠٣/٢.

(٢) ينظر: التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه ص ٢٣٣، وتأويل مشكل القرآن ٢٧٦/١ والوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري ص٧٣، والوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز ص ٤٢، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٤١/٢ .

(٣) ينظر: تفسير الزمخشري ٣٢٨/٢.

قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾(١).

الله سبحانه وتعالى هو الخالق لهذا الكون، فهو سبحانه الذي رفع السماوات بغير عمدٍ، ثم استوى على العرش واستقر واستولى عليه سبحانه، وهيمن عليه بعظمته، وخلق الشمس والقمر، وجعلهما مسخرين لخدمة الكون، يجري كل منهما لأجل مسمى، يقدر الله سبحانه ويقضي بقضائه، ويفصّل آياته وعظمته، وأنه هو الخالق لكل شيء، وأن كل ما حولنا يدعونا إلى التأمل والتفكر في قدرة الله تعالى، وتصديق كل ما جاء به الرسل، وما تنزلت به الكتب السماوية، وأن مرد جميع الخلائق إلى الله تعالى.

الشاهد معنا – هنا – هو تحديد دلالة مادة « أ م ر» في لفظ « الأمر» الوارد في قوله تعالى: « **يُدَبِّرُ الْأَمْرَ** » فلفظ الأمر ــ هنا ــ جاء على معنى من معانيه الحقيقية، عمل على تحديده السياق حيث دلَّ على معنى : «القضاء» .

ويصرح مقاتل بن سليمان بهذا المعنى في تفسيره قائلاً: « يدبر الأمر: أي يقضي القضاء»(٢).

وروى الطبري عن مجاهد أن: « **يُدَبِّرُ الْأَمْرَ** » أي: يقضيه وحده»(٣).

فيدبر الأمر أي: يقضي القضاء في خلقه (٤)، وهذا المعنى هو الذي صرح به علماء الوجوه والنظائر؛ فيصرح بذلك الدامغاني عند قوله: «تفسير

---

(١) سورة الرعد الآية (٢) .

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان ٣٦٦/٢ .

(٣) جامع البيان للطبري ٣٢٧/١٦، وينظر: فتح القدير للشوكاني ٣/ ٧٩

(٤) ينظر: تفسير القرآن العزيز لابن زمنين ٣٤٤/٢، وينظر: روح المعاني للألوسي ١٢٨/٧.

الأمر على ستة عشر وجهًا ... والوجه التاسع: الأمر يعني: القضاء؛ كقوله في سورة الرعد: « **يُدَبِّرُ الْأَمْرَ** » أي: يقضي القضاء وحده»(١).

إذًا فمن كانت له القدرة على خلق السماوات، وخلق الأرض، ورفع السماء بغير عمد، ومن انفرد بالخلق، وسخر الشمس والقمر، وجعل لكل منهما نظاما خاصا به، لخدمة الكون، فخالق كل هذا الكون هو الله تعالى، فهو الذي يدبر، ويقدر، ويقضي القضاء وحده في جميع الخلائق، وهو المتصرف في هذا الكون .

***

سادسًا: بمعنى الشيء:

قوله تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾(٢).

تتعدد المعاني وتتزاحم للدلالة على مادة « أ م ر»، وما تفرع منها من صيغ ومشتقات، وعند البحث في هذه المعاني المتنوعة التي تدل عليها مادة « أ م ر»، وما تفرع منها، نجد أن هذه المعاني منها ما هو حقيقي، ومنها ما هو مجازي، ويمكن التفرقة بين النوعين عن طريق السياق، وما يتضمنه من قرائن صارفة عن إرادة المعنى الأصلي، كما يمكن عن طريق هذه القرائن – أيضًا– تحديد وتعيين المعنى الأصلي، كما يمكن عن طريق هذه القرائن – أيضًا– تحديد وتعيين واختيار معنى واحدٍ مجازيٍّ، إذا كان المعنى يحتمل عدة معان مجازية.

وعند الرجوع إلى أقوال العلماء والمفسرين في تحديد دلالة مادة «

---

(١) الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز للدامغاني ص ٤٠، ٤٢، وينظر قبله التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه ليحيى بن سلام ص ٢٣٣، وتأويل مشكل القرآن ٢٧٦/١، واللباب في علوم الكتاب ٢٣٩/١١.

(٢) سورة البقرة الآية (١١٧) .

أمر» في الآية السابقة في قوله: ﴿ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾؛ فنجد أنها بمعنى: وإذا قضى شيئًا، فإنما يقول له كن فيكون، فالأمر – هنا– جاء بمعنى: الشيء.

فيصرح البيضاوي بذلك قائلاً: « وإذا قضى أمرًا: أي أراد شيئًا، وأصل القضاء إتمام الشيء ... »(١).

وجاء في التسهيل لعلوم التنزيل: « والأمر – هنا – بمعنى الشيء، وهو واحد الأمور، وليس بمصدر أمر يأمر»(٢).

ويؤكد ذلك – أيضًا – الخطيب الشربيني؛ حيث يقول: « وقوله تعالى: « **وَإِذَا قَضَى أَمْرًا** » أي: أراد إيجاد شيء» (٣).

وقد ذكر الدامغاني في كتابه الوجوه والنظائر أن الأمر يعنى به: عيسى ابن مريم؛ حيث فسَّر قوله: « **وَإِذَا قَضَى أَمْرًا** »، يعنى: خلق عيسى (عليه السلام)(٤).

ويمكن الرد على هذا المعنى، وذلك من خلال ما يلي:

أولا : أنه لا يوجد ثمة تعارض بين هذا المعنى الذي ذكره الدامغاني، والمعنى الأول الذي ذكره جمهور المفسرين؛ فالمعنى الأول عام، وجامع لإيجاد وخلق جميع الأشياء التي يريد الله تعالى إيجادها بقدرته وعظمته، فهو بديع السماوات والأرض الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، فمن ثَمَّ فإن خلق وإيجاد سيدنا عيسى من غير أب يتضمنه المعنى الأول؛ لأن المعنى الأول أوسع وأعم، وهو الذي يتناسب مع قدرة الله تعالى، ومع قوله:

---

(١) تفسير البيضاوي ١٠٢/١.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي ٩٥/١.

(٣) السراج المنير ٨٨/١.

(٤) ينظر: الوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤١.

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾؛ فالمعنى الثاني – بالطبع– يندرج في المعنى الأول؛ لأن خلق عيسى (عليه السلام)، وإيجاده ما هو إلا خلق من مخلوقات الله، وآية من آياته، ومن عظائم قدرته.

ثانيا: يؤيد المعنى الأول – أيضًا – ما جاء في آية أخرى مشابهة لهذه الآية في اللفظ والمعنى، وذلك في سورة النحل في قوله تعالى: **{إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}** (١) .

فهذه الآية تُعَدُّ مفسرة للآية السابقة، ومحددة للمراد من قوله: « **وَإِذَا قَضَى أَمْرًا**»، وأن « أمرًا» بمعنى شيء، أي إذا أراد إيجاد شيء، فإنما يقول له كن فيكون.

(١) سورة النحل الآية (٤٠).

المبحث الثاني

المعاني المجازية لمادة "أ م ر» في القرآن الكريم ودلالتها السياقية

وهذه المعاني هي:

- بمعنى الوحي.
- بمعنى الدين والملة والشريعة.
- بمعنى الأمراء والولاة والحكام .
- بمعنى العلم .
- بمعنى التشاور والتفاوض والتفاهم .
- بمعنى الكفر والشرك والعصيان والطغيان.
- بمعنى وقوع الساعة، ويوم القيامة.
- بمعنى وقوع العذاب.
- بمعنى فتح مكة.
- بمعنى الفصل بين الحق والباطل.
- بمعنى الجلاء والقتل.
- بمعنى إظهار أمر المنافقين.
- بمعنى النصر والفتح.
- بمعنى إيجاد عيسى (عليه السلام).
- بمعنى الذنب والوزر.
- بمعنى الكيد والمكر والتدبير.
- بمعنى الغرق والهلاك.
- بمعنى الشيء العجيب.

أولاً: بمعنى: الوحي:

قوله تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (١).

افتتح الله تعالى سورة السجدة ببيان مكانة القرآن الكريم، وأنه لا شك فيه؛ لأنه تنزيل من ربِّ العالمين، وأنه هو الحق من الله تعالى يهدي إلى صراط مستقيم، ومن اتبعه فقد اهتدى، ثم تحدثت الآيات بعد ذلك عن وحدانية الله تعالى، وأنه سبحانه هو الذي انفرد بخلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، ثم استقر على العرش سبحانه، فليس له شريك في الملك، وليس هناك إله غيره، فالله تعالى هو الذي ينزل الوحي من السماء إلى الأرض عن طريق ملك الوحي جبريل (عليه السلام)، ثم يصعد الأمر إليه في يوم، هذا اليوم مقداره ألف سنة.

اختلف العلماء في تحديد دلالة مادة « أ م ر» في هذا الاستعمال القرآني المتمثل في قوله تعالى: **{يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ }**، فلفظ الأمر – هنا – يحتمل عندهم المعاني الآتية:

١– بمعنى الوحي: « أي: ينزل الوحي مع جبريل من السماء إلى الأرض ثم يعرج: أي يصعد إليه جبريل بالأمر في يوم واحد من أيام الدنيا، وقدر مسيره ألف سنة، خمسمائة نزوله من السماء إلى الأرض، وخمسمائة صعوده من الأرض إلى السماء، وما بين السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة سنة»(٢).

٢– بمعنى القضاء والقدر: يوضح البغوي ذلك بقوله: « يدبر الأمر: أي

---

(١) سورة السجدة الآية (٥) .

(٢) الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي ٣٢٦/٧، ٢٦٣/٢١، وينظر: تفسير البغوي ٥٩٤/٣، وبصائر ذوي التمييز ٤١/٢.

يُحْكِم الأمر، وينزل القضاء والقدر من السماء إلى الأرض، وقيل: يُنزل الوحي مع جبريل من السماء إلى الأرض ثم يعرج، يصعد إليه جبريل بالأمر...» [١]، كما ذكر هذين المعنيين – أيضًا– القرطبي، وأبو الحسن الخازن[٢].

٣– بمعنى المأمور به من الأعمال: أي: ينزِّل سبحانه المأمور به من الأعمال مدبرًا من السماء إلى الأرض، وهذا المعنى انفرد به الشوكاني مع ذكره المعنيين السابقين[٣]، وهذا يُعَدُّ معنى حقيقيا لمادة « أ م ر»، وليس معنى مجازيًا.

٤– بمعنى تدبير أمور الدنيا: أي: يدبر سبحانه وتعالى أمر الدنيا بأسباب سماوية مع الملائكة وغيرها، نازلة أحكامها وآثارها إلى الأرض [٤]، وهذا المعنى – أيضًا – قد انفرد به الشوكاني في تفسيره، وهو يُعَدُّ – أيضًا– من المعاني الحقيقية للأمر؛ فبذلك يكون الإمام الشوكاني قد ذكر عند تفسيره لهذا الموضع أربعة معان لمادة « أ م ر»، جاءت ثلاثة معان منها حقيقية، وواحد مجازي، وهو الذي بمعنى: الوحي.

هذه هي المعاني التي فسر بها العلماء لفظ الأمر في قوله تعالى:﴿ **يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ** ﴾ **{يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ }**، وإن كان البحث يميل إلى المعنى الأول، وهو بمعنى: الوحي أي: ينزل سبحانه الوحي مع جبريل (عليه السلام)؛ وذلك لأن هذا المعنى هو الأنسب وسياق الآية القرآنية وما سبقها من آيات، فقوله قبلها: « **تَنزِيلُ الْكِتَابِ**»؛ فالكتاب في مضمونه

---

(١) تفسير البغوي ٣/٥٩٤.

(٢) ينظر: تفسير القرطبي ١٤/٨٦، ولباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ٣/٤٠٢.

(٣) ينظر: فتح القدير للشوكاني ٤/٢٨٦.

(٤) ينظر: المصدر السابق نفسه ٤/٢٨٦.

نزل عن طريق الوحي الذي نزل به جبريل (عليه السلام)، وهو وحي من رب العالمين، وكذلك قوله: « **مِنَ السَّمَاءِ إِلى الأَرْضِ**»، فيه دلالة أن هذا الأمر، وهو الوحي نزل من السماء من عند الله تعالى إلى الأرض تتلقاه الرسل وتبلغه إلى العباد.

وكذلك قوله: « **ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ** » فيه دلالة على صعود جبريل (عليه السلام)، وهو الملك المكلف بالوحي، بعد نزوله بالوحي، فيصعد ويعرج إلى السماء، هذا الصعود يقدر بألف سنة بعدِّ البشر، فمن ثَمَّ يكون هذا المعنى المجازي، وهو الوحي، هو الأنسب وسياق الآيات، والله أعلم.

***

قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ (١)

تتحدث الآية السابقة عن وحدانية الله تعالى؛ فالله هو الذي خلق سبع سماوات بدون عمد، وخلق سبع أراضين، يتنزل الوحي بينهن، وذلك للدلالة على عظمة الله تعالى وقدرته، وأنه هو المحيط بكل شيء، والعالم بأحوال كل المخلوقات؛ فتبارك الله أحسن الخالقين.

من المعاني التي ذكرها العلماء، وفسروا بها لفظ « الأمر» في الآية السابقة ما يلي:

١ – بمعنى الوحي، وهذا المعنى هو الذي ذكره مجاهد، ومقاتل بن سليمان، وعليه الكثير من المفسرين، يقول مقاتل في ذلك: ﴿ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾ يعني: الوحي من السماء العليا إلى الأرض السفلى»(٢).

ويصرح مكي القيسي بذلك ناسبًا هذا المعنى لمجاهد، وذلك عند قوله:

---

(١) سورة الطلاق الآية (١٢) .

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان ٣٦٧/٤ .

«أي: يتنزل الوحي بين السماء السابعة والأرض السابعة، قاله مجاهد»[١].

وهذا المعنى– أيضًا– هو الذي التقت عليه أقوال علماء الوجوه والنظائر في القرآن الكريم [٢].

٢– بمعنى قضاء الله وقدره: وقد صرح بهذا المعنى الماوردي – بعد ذكره للمعنى الأول – حيث يقول: «﴿ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾ فيه وجهان: أحدهما: الوحي، قاله مقاتل، فعلى هذا يكون قوله { بَيْنَهُنَّ } إشارة إلى ما بين هذه الأرض العليا التي هي أدناها وبين السماء السابعة التي هي أعلاها. الوجه الثاني: أن المراد بالأمر قضاء الله وقدره، وهو قول الأكثرين، فعلى هذا يكون المراد بقوله "بَيْنَهُنَّ" الإشارة إلى ما بين الأرض السفلى التي هي أقصاها وبين السماء السابعة التي هي أعلاها»[٣].

وممن صرح بهذا المعنى– أيضًا–من العلماء: ابن الجوزي، والقرطبي، وأبو حيان الأندلسي، وابن عادل الدمشقي، والألوسي[٤].

٣– بمعنى التكوين: أي أنه لا يخلو مكان في السماوات والأرض في كل وقت من مكون يكونه الله تعالى أو محدث يحدثه، وذلك قوله: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [٥]، فيجوز أن يكون المراد بالأمر في قوله: « يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ » أي: أمر التكوين»[٦]، وهذا الرأي انفرد به الماتريدي دون غيره من المفسرين، فذكر هذا المعنى بعد ذكره لمعنى

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية ٧٥٥٨/١٢.

(٢) ينظر: الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري ص ٧٣ والوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز للدامغاني ص٤٢ وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٤١/٢.

(٣) تفسير الماوردي ٣٧/٦ .

(٤) ينظر: زاد المسير ٣٠٣/٤ وتفسير القرطبي ١٧٦/١٨ والبحر المحيط ٢٠٥/٧ واللباب في علوم الكتاب ١٨٣/١٩ وروح المعاني للألوسي ٣٤٠/١٤ .

(٥) سورة يس الآية (٨٢) .

(٦) تفسير الماتريدي ٧٣/١٠.

الوحي قبله.

هذه هي المعاني التي ذكرها المفسرون لقوله: « **يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ**»، وإن كان البحث يميل إلى المعنى الأول، وهو معنى الوحي: أي يتنزل الوحي بينهن، وما ينزل الله تعالى من الكتب والرسل بينهن(١).

ومما يرشح دلالة المعنى الأول: الوحي، وذلك لتناسبه مع سياق السورة والآيات السابقة لهذه السورة، فقد سبقها قوله تعالى: ﴿قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ (٢)، أي قرآنا يتلوه عليهم الرسول (ﷺ) به الكثير من الأحكام والشرائع، وكذلك قوله تعالى: ﴿ءَايَٰتِ اللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ الصَّٰلِحَٰتِ مِنَ الظُّلُمَٰتِ إِلَى النُّورِ﴾ (٣).

فالله تعالى أنزل من هذا الوحي ذكرًا وقرآنًا يتلوه الرسول (ﷺ)، فيه آيات بينات تخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام، فهذه القرائن ترجح أن يكون المراد من قوله: « **يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ**» أي يتنزل الوحي بين السماء والأرض، وما ينزل الله تعالى من الكتب والرسل بينهن، فجميع ذلك فهو من الوحي الذي يوحيه وينزله الله من السماء إلى الأرض(٤).

***

ثانيًا: بمعنى الدين والمِلَّة:

قوله تعالى: ﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا۟ الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ (٥).

---

(١) ينظر: المصدر السابق نفسه .

(٢) سورة الطلاق من الآية (١٠) .

(٣) سورة الطلاق من الآية (١١) .

(٤) ينظر: تفسير الماتريدي ٧٣/١٠.

(٥) سورة التوبة الآية (٤٨) .

يواصل القرآن الكريم سرده للقصص القرآني، ووصفه لحال المنافقين وموقفهم مع سيدنا محمد (ﷺ)، وتصوير حالهم معه في وقت غزوة تبوك، وتخاذلهم عن الخروج معه، وذكرهم في ذلك أسبابا واهية، فيكشف الله تعالى لنبيه حالهم، وما تُكنه صدورهم، وأنهم لو خرجوا مع الرسول والمؤمنين ما زادوهم بخروجهم معهم إلا شرًا وفسادًا، وإيقاعًا للفتنة، ونشرًا للنميمة بين المسلمين؛ لذلك كره الله خروجهم معكم، فهم يعملون على صدِّ أصحابك عن الدِّين، وردِّهم إلى الكفر، وتخذيل الناس عنك قبل هذا اليوم، كما فعل عبد الله بن أُبَيٍّ يومَ أُحد حين انصرف عنك بأصحابه، وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ، وَأَجَالُوا فيك، وفي إبطال دينك الرأي بالتخذيل عنك، وتشتيت أمرك حتى جاء النصر والظفر، وظهر أمر الله أي: دين الله، وهم كارهون(١).

فالشاهد معنا في الآية السابقة هو دلالة مادة « أ م ر» في قوله تعالى: «**وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ** »، فنحن نعلم أن مادة « أ م ر» من الأصول اللغوية التي تتضمن وتشترك في الكثير من المعاني سواء كانت هذه المعاني حقيقية أم مجازية، والذي يساعد دائمًا على تحديد الدلالة، والمعنى المراد هو السياق الذي وردت فيه.

وقد فسر العلماء «أمر الله» في هذه الآية بالمعاني التالية:

١- الدِّين والشريعة والملة: وهذا التفسير هو الذي عليه أكثر المفسرين، وجاءت على هذا المعنى – أيضًا- جميع مؤلفات الوجوه والنظائر؛ فيقول أبو هلال العسكري: «الأمر في القرآن على سبعة عشر وجهًا: الأول: الدِّين، قال الله تعالى: **{وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ }** يعني دينه ...» (٢).

---

(١) ينظر: تفسير البغوي ٣٥٥/٢، وتفسير النسفي ٦٨٤/١، والتفسير الوسيط لمجمع البحوث الإسلامية ١٧١٠/٣ وما بعدها.

(٢) الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري ص٧١ وينظر: الوجوه والنظائر للدامغاني ص٤٠ وبصائر ذوي التمييز ٢/ ٤٠.

وصرح القرطبي – أيضًا– بذلك قائلاً: « قال علماؤنا: والأمر في القرآن يتصرف على أربعة عشر وجهًا: الأول: الدِّين، قال الله تعالى: **{ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ}** يعني دِين الله الإسلام ...»(١) .

ويؤكد ذلك– أيضًا– الفيروزآبادي قائلاً: « والأمر ورد في نصِّ التنزيل على ثمانية عشر وجهًا: الأول: بمعنى الدِّين والملة ﴿ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ ﴾، أي دين الله ...» (٢).

٢– وفسرها الماتريدي في تفسيره بأمرين الأول: دين الإسلام، والثاني: حجج الله وأدلته، وذلك عند قوله: ﴿ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ ﴾ قيل: دين الله الإسلام، ويحتمل: حجج الله وأدلته»(٣).

ويمكننا الرد على التفسير الثاني بأن مجيء الحق، ونصر الله، وظهور دين الله الإسلام، وما به من أحكام، وشرائع، وقرآن كريم فيه ما فيه من حجج الله وأدلته؛ لذلك ذكر الماتريدي دين الله الإسلام أولاً، ثم بعد ذلك أردفها بكلمة: "ويحتمل" وفي ذلك دليل على أن التفسير الأول هو الأولى والأرجح عنده.

٣– وانفرد– أيضًا– الرازي بتفسيره لأمر الله بقوله: «والمراد بأمر الله الأسباب التي أظهرها الله تعالى، وجعلها مؤثرة في قوة شرع محمد (ﷺ)» (٤).

فيمكننا الرد على الإمام الرازي بأن هذه الأسباب التي أظهرها الله تعالى، وجعلها مؤثرة في قوة شرع سيدنا محمد (ﷺ) ما هي في مجملها إلا

---

(١) تفسير القرطبي ٨٨/٢ و ١٥٧/٨، وينظر: تفسير النسفي ٦٨٤/١.

(٢) بصائر ذوي التمييز ٤٠/٢.

(٣) تفسير الماتريدي ٣٨٣/٥.

(٤) تفسير الرازي ٦٥/١٦.

جزء من الإسلام، ومن شريعة سيدنا محمد (ﷺ).

٤- وانفرد - أيضًا - الشيخ محمد الإيجي بقوله: « **وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ**»: وعلا كلمته يوم بدر ويوم فتح مكة»(١).

هذه هي أقوال العلماء وتفسيرهم لصيغة « أمر» في قوله تعالى: **{وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ}**، فظهور أمر الله المراد به دين الإسلام، وهذا المعنى من المعاني المجازية للجذر اللغوي « أمر»، والتي يمكن تحديدها من خلال السياق.

***

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ (٢).

بعد أن أمر الله تعالى الرسل، ومن تبعهم من الأمم بأن يأكلوا من الطيبات ويعملوا الصالحات، وأنه سبحانه عليم بهذه الأعمال لا يخفى عليه شيء منها، ثم يبين الله تعالى لهم بأن دينكم معشر الأنبياء دين واحد وملة واحدة، وهي الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وأن اختلاف الشرائع والأحكام بحسب اختلاف الأزمان والأحوال لا يسمى اختلافا فى الدين، لأن الأصول واحدة، ثم يبين الله تعالى أن أمم أولئك الرسل خالفوا أمر رسلهم، واتبعوا أهواءهم، وجعلوا دينهم فرقاً وشيعاً، وأصبح كل فريق معجباً بنفسه، فرحاً بما عنده، معتقداً أنه على الحق الذي لا معدل عنه(٣).

فالشاهد معنا هنا هو تحديد دلالة كلمة «أمرهم» في قوله: **{ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ }**، فمن خلال مطالعة أقوال العلماء والمفسرين في ذلك نجد أن

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن لمحمد الإيجي ٧٢/٢.

(٢) سورة المؤمنون الآيتان (٥٢، ٥٣) .

(٣) تفسير المراغي ٣٠/١٨.

كلمة «أمرهم» جاءت بمعنى الدين، والملة، والشريعة، أي: فرقوا دينهم.

ويصرح بذلك صاحب كتاب « بحر العلوم» قائلاً: { **فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ** } أي فرقوا دينهم وتفرقوا في دينهم، ومعناه: أن دين الله تعالى واحد فجعلوه أديانًا مختلفة»(١) .

ويؤكد على ذلك الإمام البغوي عند قوله: { **فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ** } أي: دينهم بينهم، أي: تفرّقوا فصاروا فرقاً يهوداً ونصارى ومجوسًا»(٢)

وإذا نظرنا إلى مؤلفات الوجوه والنظائر لوجدنا اتحاد أقوال العلماء على هذه الدلالة؛ فيبين الإمام الدامغاني هذا المعنى موضحًا أنَّ «تفسير الأمر على ستة عشر وجهًا، فوجه منها الأمر يعني: الدِّين؛ قوله تعالى في سورة براءة: **{حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ}** (٣) يعني: دين الله: الإسلام، وكقوله تعالى في سورة المؤمنون { **فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ** } يعني فرقوا دينهم ... »(٤).

إذًا فدلالة مادة «أ م ر» – هنا– في هذه الآية يراد بها معنى مجازي، وهو الدِّين والملة، والذي يعمل على تحديد هذا المعنى هو السياق وما يحتويه من قرائن، ومما يرشح هذه الدلالة المجازية – هنا – ويصرفها عن المعنى الحقيقي هو وجود قرينة لفظية في الآية السابقة، وذلك في قوله تعالى: **{وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً }**، أي: إن دينكم دين واحد، وملتكم ملة واحدة؛ فجاءت الآية التالية لها، وهي قوله: { **فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ** }؛ لتبين وتوضح ماذا فعلت الأمم من تفرقهم، وجعلهم دينهم فرقًا وشيعًا.

---

(١) بحر العلوم للسمرقندي ٤٨٣/٢ وينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية ٤٩٧٤/٧ .

(٢) تفسير البغوي ٣٦٧/٣ وينظر: زاد المسير ٢٦٤/٣ وعمدة الحافظ ٣٢٢/٣ واللباب في علوم الكتاب ٢٢٧/١٤.

(٣) سورة التوبة الآية (٤٨) .

(٤) الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز للدامغاني ص ٤٠، وينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٤٠/٢.

ثالثًا: الأمراء والولاة والحكام:

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[1] .

اختلف المفسرون والعلماء حول دلالة لفظ الأمر في قوله تعالى: **{وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ }**؛ فتنوعت آراؤهم، وذلك على النحو التالي:

١- معناه: الأمراء والولاة والحكام، وهو رأي ابن عباس، وأبي هريرة، والسدي ، والطبري[2] .

٢- معناه: أولوا العلم، والفقهاء، والعلماء الذين يُعلِّمون الناس معالم دينهم، وهو رأي جابر بن عبد الله- رضي الله عنهما-، وقول الحسن، والضحاك، ومجاهد[3].

٣- معناه: أمراء السرايا الذين بعثهم رسول الله (ﷺ) في الحروب[4].

٤- معناه: أصحاب رسول الله (ﷺ)[5].

٥- معناه: أبو بكر وعمر- رضي الله عنهما - وهو رأي عكرمة[6].

٦- معناه: الدعاة والرواة[7].

---

(١) سورة النساء الآية (٥٩) .

(٢) ينظر : تفسير الطبري ٨/ ٥٠٢ و تفسير البغوي ٦٥٠/١ والبحر المحيط ٦٨٦/٣ وروح المعاني ٦٣/٣ .

(٣) ينظر: القطع والائتناف لأبي جعفر النحاس ١٦٩/١، والوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري ص٧٤، والهداية إلى بلوغ النهاية ١٣٦٩/٢، وتفسير البغوي ٦٥٠/١.

(٤) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم ٩٨٨/٣، والهداية إلى بلوغ النهاية ١٣٦٩/٢، وتفسير السمعاني ٤٤٠/١.

(٥) ينظر: القطع والائتناف ١٦٩/١، والهداية إلى بلوغ النهاية ١٣٧٠/٢.

(٦) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم ٩٨٩/٣، والهداية إلى بلوغ النهاية ١٣٧٠/٢.

(٧) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم ٩٨٩/٣.

٧- معناه: القرآن(١).

٨- معناه: أصحاب الخير(٢).

فلفظ « الأمر» من الألفاظ ذات الدلالات المختلفة التي تستخدم في الدلالة على أكثر من معنى، ولكن الذي يساعد دائمًا على تحديد المعنى المراد هو السياق.

فإذا نظرنا إلى الآية السابقة وجدنا أن لفظ «الأمر» جاء بمعنى: الأمراء والولاة والحكام ؛ وذلك لما يلي:

١- أن السياق اللغوي يقرر ذلك؛ حيث يوجد قرينتان لفظيتان - إحدهما في الآية السابقة، والأخرى في الآية نفسها- ترجحان وتؤيدان معنى: الأمراء والولاة والحكام.

(أ) القرينة الأولى: في قوله قبلها: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ ﴾ (٣).

لما أمر الله تعالى- في الآية السابقة- الحكام وولاة أمور المسلمين بأداء الأمانة إلى أهلها وإلى من وُلُّوا أمرهم في الفيء الذي استأمنهم الله تعالى على جمعه وقَسْمه، والصدقات التي استأمنهم على جمعها وقسمها، وما ائتمنوا عليه من حقوق وأمور خاصة بالعباد، وأن يحكموا بالعدل بينهم في مظالمهم، والقَسْم بينهم بالتسوية ، فأمر الناس بأن يطيعوهم، فالله عز وجل أوصى الرّاعي بالرعية، وأوصى الرعية بالطاعة(٤).

---

(١) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية ١٣٦٩/٢.

(٢) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم ٩٨٨/٣.

(٣) سورة النساء من الآية (٥٨) .

(٤) ينظر: تفسير الطبري ٨/ ٤٩٠ وما بعدها وتفسير الزمخشري٥٢٤/١ وتفسير الرازي ١١٢/١٠ والبحر المحيط ٣/ ٦٨٦ وفتح القدير للشوكاني ٥٥٦/١ .

(ب) القرينة الثانية: في قوله تعالى: { **فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ** }؛ فالمقصود – هنا– الأمراء والحكام والولاة، وليس العلماء؛ لأن الولاة هم الذين يتنازعون ويتخاصمون ويتناحرون، وقد يصل بهم الأمر للتقاتل على الحكم والسلطة والإمارة، بخلاف العلماء والفقهاء فهم وإن اختلفوا فيما بينهم على شيء من مسائل العلم إلا أنهم لا يصل بهم الأمر إلى التنازع، كالذي يكون بين الولاة بعضهم البعض؛ لأنَّ العلم رحم بين أهله.

٢- ما روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: " أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ قَالَ: الْأُمَرَاءُ ". (١).

وما روي عن مُصْعَب بْنِ سَعْدٍ، أنه يَقُولُ:" قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِب: كَلِمَاتٌ أَصَابَ فِيهِنَّ: حَقٌّ عَلَى الْإِمَامِ أَنْ يَحْكُمَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، وَأَنْ يُؤَدِّيَ الْأَمَانَةَ ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ حَقًّا عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَسْمَعُوا وَيُطِيعُوا وَيُجِيبُوا إِذَا دُعُوا " (٢).

٣- أن وجود التماسك النصي بين الآيتين الكريمتين من حيث المقام، والتناسب في الغرض وفي شدة العلاقة بين المخاطبين جعل الآية الثانية مناسبة لما قبلها، فالله تعالى أَمَرَ الحكام والأمراء والولاة بأداء الحقوق لأهلها، وأن يحكموا بالعدل بين العباد، وأَمَرَ المحكومين من الناس بطاعتهم .

٤- اتفاق الكثير من العلماء والمفسرين على هذا المعنى، وترجيحهم واختيارهم له بعد عرضهم للمعاني الأخري؛ فمن ذلك قول الطبري:

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ، كتاب: السير، باب: ما جاء في طاعة الإمام والخلاف عنه ، الحديث : ٣٢٥٣١ ٤١٨/٦ .

(٢) ينظر تخريجه: المصدر السابق نفسه ، كتاب: السير، باب: ما جاء في طاعة الإمام والخلاف عنه، الحديث: ٣٢٥٣٢ ٤١٨/٦ .

"وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: هم الأمراء والولاة ؛ لصحة الأخبار عن رسول الله (ﷺ) بالأمر بطاعة الأئمة والولاة فيما كان لله طاعةً، وللمسلمين مصلحة" (١).

وصرح ابن عطية والقرطبي بأن هذا المعنى هو الوارد عن " الْجُمْهُورِ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِمْ " . (٢)

***

رابعاً: بمعنى العلم:

قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٣).

تعددت أقوال المفسرين في تحديد الدلالة والمعنى المراد للفظ «أَمْر» في الآية السابقة، فجاءت أقوالهم في المعاني الآتية:

١- فسر بعض العلماء «الأمر» بمعنى العلم، أي: ويسألونك عن الروح قل الروح من علم ربي الذي استأثر به، ولم يعلمه غيره(٤) .

٢- وهناك من فسر لفظ « الأمر» بمعنى: التدبير والترتيب، أي: من تدبير ربي(٥).

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ٨/ ٤٩٢ ، ٥٠٢ وتفسير ابن عطية ٢/٧٠ وتفسير الخازن ٣٩٣/١ والتفسير الوسيط لطنطاوي ٣/ ١٩١ .

(٢) ينظر: تفسير ابن عطية ٢/ ٧٠ وتفسير القرطبي ٥/ ٢٥٩.

(٣) سورة الإسراء الآية (٨٥) .

(٤) ينظر: معاني القرآن للفراء ١٣٠/٢، وتفسير البغوي ١٦٠/٣، والكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد للمنتجب الهمذاني ٢١٩/٤، وأيسر التفاسير للجزائري ٢٢٢/٣.

(٥) ينظر: تفسير الماتريدي ١٠٥/٧.

٣- وهناك من فسره بمعنى الإبداع والخلق، أي: من إبداع ربي، ومن خلقه(١).

٤- وهناك من فسره بمعنى الفعل، أي: من فعل ربي(٢).

فلفظ الأمر من الألفاظ التي تحتمل أكثر من معنى، ولا نستطيع تحديد دلالتها إلا عن طريق السياق؛ فالسياق هو الذي يحدد الدلالة ويُعَيِّن المعنى المراد، فنلاحظ من خلال أقوال العلماء المتنوعة أن معناها ينحصر في أحد الدلالات السابقة، وإن كانت جميع هذه المعاني متقاربة إلا أن دلالة السياق ترشح معنى «العلم»؛ فيكون المعنى: ويسألونك عن الروح قل الروح من علم ربي الذي استأثر الله به ولم يعلمه غيره؛ وذلك لأن الآية الكريمة تحتوي على سياق لغوي، وهو قوله تعالى: **{ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا}** فهذه الجزئية من الآية من الدلائل والقرائن التي تؤكد أن لفظ الأمر – هنا – يقصد به معنى العلم، أي: أنهم يسألونك عن الروح، فقل لهم يا محمد الروح علمها عند ربي، وهي من علم ربي الذي استأثر به، ولم يُعلِّمه لأحد غيره، مثلها في ذلك كمثل موعد يوم القيامة، وأنهم مهما بلغوا من العلم إلا أنهم لم يُؤتوا منه إلا جزءًا قليلاً لا يساوي شيئا في علم الله (ﷻ)، فهم ليس لهم علم بما في داخل أجسادهم؛ لأن علمهم مهما بلغ من كثرته إلا أنه قليل بالنسبة لله (ﷻ).

فالدلالة السياقية اللفظية، وهي الواقعة في قوله تعالى: **{ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا}** دليل على أن المراد من أمر ربي أي: علم ربي، إذًا فالدلالة السياقية الكائنة في نسق الكلام، والتي تعمل على ربط أجزاء الكلام بعضه ببعض، وتقوم بربط السابق باللاحق، واللاحق بالسابق.

---

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٨٨، إيجاز البيان في معاني القرآن لنجم الدين النيسابوري ٥٠٩/٢، وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي ١١٤/١.

(٢) ينظر: تفسير الرازي ٣٩٣/٢١.

فعلم البشر مهما بلغ من تطور وحداثة إلا أنه لا يساوي شيئا مقارنة بعلم الله (ﷻ)؛ فحقًا الروح علمها عند ربي، وأننا لم نؤت من العلم إلا قليلاً .

***

خامساً: بمعنى التشاور والتفاوض والتفاهم:

قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾[1] .

ما زال الحديث قائمًا عن المعاني المجازية لمادة «أ م ر»، وما تفرع منها من صيغ ومشتقات، وتحديد المعنى الذي يرشحه السياق، وتؤيده القرائن اللغوية الحالية أو المقامية.

وعند تحديد دلالة مادة «أ م ر» في قوله تعالى في الآية السابقة «**يَأْتَمِرُونَ بِكَ**» نجد أنَّ علماء اللغة والمفسرين ذكروا في معناها ثلاثة أقوال:

١- القول الأول: أنها بمعنى: يتشاورن فيك أو يتشاورون في أمرك؛ فالائتمار- هنا- بمعنى التشاور، وهذا هو قول أبي عبيدة، وغيره من المفسرين[2].

٢- القول الثاني: أنها بمعنى: يأمر بعضهم بعضًا بقتلك، وهذا المعنى قاله الزجاج[3].

٣- القول الثالث: أنها بمعنى: يهمون بقتلك، وهذا المعنى قاله ابن قتيبة [4].

---

(١) سورة القصص الآية (٢٠).

(٢) ينظر: تفسير الطبري ٥٤٧/١٩، وتفسير السمرقندي ٦٠٣/٢، والهداية إلى بلوغ النهاية ٥٥٠٩/٨، وزاد المسير في علم التفسير ٣٧٩/٣، وتفسير الرازي ٥٨٧/٢٤.

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٣٨/٤ وينظر: تفسير السمرقندي ٦٠٣/٢ وتفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ٣٢١/٣ وزاد المسير ٣٧٩/٣.

(٤) ينظر: تفسير السمرقندي ٦٠٣/٢ وتفسير الثعلبي ٢٤٢/٧ والهداية إلى بلوغ النهاية ٥٥١٠/٨ وزاد المسير في علم التفسير ٣٧٩/٣.

هذه هي المعاني التي فسر بها العلماء قوله تعالى: « **يَأْتَمِرُونَ بِكَ** »، وإن كان أقرب هذه المعاني هو المعنى الأول؛ وذلك للأسباب الآتية:

١- تفسير الكثير من العلماء لفظ «الائتمار بمعنى: التشاور، واقتران هذا اللفظ بهذا المعنى؛ فيقول الزمخشري: « والائتمار: التشاور» (١).

٢- ما ذكره العلماء من وجه تسمية التشاور وتداول الآراء بالائتمار، فهو يؤيد تحديد هذا المعنى، ويرشح استخدامه أنهم يعللون هذا الوجه من التسمية بقولهم: «وإنما سمي التشاور ائتمارًا؛ لأن كلاً من المتشاورين يأمر الآخر ويأتمر»(٢)، ويضيف النسفي إلى ذلك قوله: «والائتمار التشاور يقال الرجلان يتآمران ويأتمران؛ لأن كل واحد منهما يأمر صاحبه بشيء أو يشير عليه بأمر»(٣).

ويرجح- أيضًا- السمين الحلبي هذا المعنى معللاً ذلك بأن «الائتمار: التشاور وأصله أن الائتمار قبول الأمر، وذلك أن المتشاورين يقبلون أمر بعضٍ بعضًا»(٤)، والائتمار والمؤامرة: المشاورة والهمُّ بالشر(٥).

٣- أنه لا يوجد تعارض بين المعاني الثلاثة؛ فإن الملأ في تآمرهم هذا يتشاورون ويتداولون الآراء، ويتبادلون الأقوال، ويشير بعضهم على بعض بالأفكار والحيل في قتل موسى (عليه السلام)، ومن ثَمَّ فهم بعد هذا التشاور يأمرون ويكلفون من هو يصلح لذلك من أهل الشر، ثم يهمون على موسى لقتله.

---

(١) تفسير الزمخشري ٣٩٩/٣، وينظر: تفسير الرازي ٥٨٧/٢٤ وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ١١٥/١ والتحرير والتنوير ٣٢٩/٢٨.

(٢) تفسير البيضاوي ١٧٤/٤.

(٣) تفسير النسفي ٦٣٥/٢.

(٤) عمدة الحفاظ ١١٥/١.

(٥) التفسير الوسيط لمجمع البحوث الإسلامية ١٧٥٣/٧.

إذًا فلا تعارض بين هذه المعاني الثلاثة، وخاصة أن معنى التشاور يحتمل بداخله المعنيين الأخريين بعد تداول الآراء والتشاور، وبعد أن يدلي كل فريق برأيه.

قوله تعالى: ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴾ (١).

يبين الله تعالى في الآيات السابقة بعض الأمور والتبعيات الخاصة في حالة الطلاق وحالة الرضاعة، فيأمر الله تعالى بالسكن والنفقة للمطلقة حتى انقضاء عدتها، والتحذير من التضييق عليها، والحاملُ ينفق عليها حتى تضع حملها، وأجر الإرضاع على الآباء، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، وتشاوروا على التراضي في أجرة الرضاعة، أو ليأمر بعضكم بعضًا بالمعروف(٢) .

الشاهد معنا – هنا– في الآية السابقة هو تحديد دلالة مادة «أمر» في قوله تعالى: **{وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ }**، فعند الرجوع إلى أقوال المفسرين عند تفسيرهم لها نجد أنهم ذكروا لها عدة معان يمكن إجمالها فيما يلي:

١– التشاور أي: تشاوروا فيما بينكم بالمعروف، وهذا المعنى ذكره الكسائي، والكثير من جمهور المفسرين(٣).

٢– الأمر حقيقة، أي: ليأمر بعضكم بعضًا بالمعروف، وهذا المعنى قال به

---

(١) سورة الطلاق الآية (٦) .

(٢) ينظر: التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون: د/ مأمون حموش ٩٩/٨، ١٠٠.

(٣) ينظر: تفسير الثعلبي ٣٤١/٩، والهداية إلى بلوغ النهاية ٧٥٤٨/١٢، وتفسير السمعاني ٤٦٦/٥، وتفسير البغوي ١١٣/٥ والبحر المحيط ٢٠٢/١٠ .

المبرد، وصرح به بعض المفسرين[١].

٣- التراضي بين الأب والأم، أي: تراضوا يعني أبوي الولد يتراضيان بينهما إذا وقعت الفرقة بينهما بمعروف في أجرتها على الأب ورضاعها للولد، وهذا الرأي ذكره مقاتل، والماوردي، والواحدي، وغيرهم من المفسرين[٢] .

٤- بمعنى: الاتفاق أي: اتفقوا فيما بينكم أي: الزوج والمرأة يتفقان على أمرٍ واحد[٣].

٥- بمعنى: القبول أي: وليقبل بعضكم من بعض إذا أمره بالمعروف [٤].

٦- بمعنى: هموا بالمعروف واعزموا عليه، وهذا المعنى نسبه المفسرون للفراء[٥].

٧- بمعنى: اصنعوا المعروف فيما بينكم، وهذا المعنى ذكره الطبري، ونقله بعض المفسرين[٦].

هذه هي المعاني التي ذكرها المفسرون عند تفسيرهم لمادة «أ م ر» في هذه الآية، وإن كانت هذه المعاني متقاربة بعضها من بعض إلا أن البحث

---

(١) ينظر: التفسير البسيط للواحدي ٥١٦/٢١ وتفسير السمعاني ٤٦٦/٥ وتفسير ابن عطية ٣٢٦/٥ وتفسير الرازي ٥٦٤/٣٠، والبحر المحيط ٢٠٢/١٠.

(٢) ينظر: تفسير الماوردي ٣٤/٦ والتفسير البسيط للواحدي ٥١٥/٢١ وتفسير البغوي ١١٣/٥، وتفسير الرازي ٥٦٤/٣٠.

(٣) ينظر: تفسير السمرقندي ٤٦٣/٣.

(٤) ينظر: تفسير الثعلبي ٣٤١/٩ وتفسير البغوي ١١٣/٥.

(٥) ينظر: تفسير السمرقندي ٤٦٣/٣، وتفسير الثعلبي ٣٤١/٩، والهداية إلى بلوغ النهاية ٧٥٤٨/١٢.

(٦) ينظر: تفسير الطبري ٤٦١/٢٣، والهداية إلى بلوغ النهاية ٧٥٤٨/١٢ والتفسير البسيط للواحدي ٥١٥/٢١.

يرجح ويؤيد المعنى الأول، وهو معنى التشاور، أي: تشاور الأب والأم فيما بينهما سواء في أمر إرضاع الطفل الرضيع أو السكن أو الكسوة أو النفقة أو أي شأن من هذه الشئون التي تكون بين الرجل وطليقته؛ فليكن كل شيء بينهم بالتشاور والتفاهم بالمعروف وبما يرضي الخالق (ﷻ)، ومما يرجح هذا المعنى ما يلي:

– أن جميع المعاني التي ذكرها العلماء متقاربة ومترابطة، وتؤول جميعها إلى معنى التشاور والتوافق والتفاهم والتراضي بين الطرفين؛ فالتراضي بين الأب والأم لا يكون إلا عن طريق التشاور والتفاهم، والاتفاق بينهم– أيضًا– لا يكون إلا كذلك، ولا يكون هناك قبول، ولا يقبل أحد الطرفين الآخر إلا بعد التشاور والتفاهم وتداول الرأي بينهما؛ ليصلا إلى حلٍّ ونتيجة ترضي الله تعالى، وكذلك إذا لم يكن هناك تفاهم وتشاور لانعدم صنع المعروف بين الطرفين، ومن ثم لم يكن هناك إقبال ولا عزم ولا يهمون على وجود المعروف بينهم؛ فمن أجل كل ذلك كان معنى التشاور والتفاهم بين الطرفين هو المعنى الذي يقبله المقام، ويتناسب مع محور حديث الآية الكريمة.

– ما ذكره الطاهر بن عاشور من تأييده لهذا المعنى؛ حيث قال: «الِائْتِمَارُ: التَّشَاوُرُ وَالتَّدَاوُلُ فِي النَّظَرِ. وَأَصْلُهُ مُطَاوِعُ أَمَرَهُ لِأَنَّ الْمُتَشَاوِرِينَ يَأْمُرُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ فَيَأْتَمِرُ الْآخَرُ بِمَا أَمَرَهُ. وَمِنْهُ تَسْمِيَةُ مَجَامِعِ أَصْحَابِ الدَّعْوَةِ أَوِ النِّحْلَةِ أَوِ الْقَصْدِ الْمُوَحَّدِ مُؤْتَمِرًا لِأَنَّهُ يَقَعُ الِاسْتِئْمَارُ فِيهِ، أَيِ التَّشَاوُرِ وَتَدَاوُلِ الْآرَاءِ» (١).

– أنه لو لم يكن هناك تشاور وتفاهم بينهما، ولم يكن هناك مجال لتداول الرأي، ولم يتقبل كل منهما حديث الآخر؛ فمن ثَمَّ لم يستطع أحدهما أن يأمر

(١) التحرير والتنوير ٣٢٩/٢٨.

الآخر؛ لأن تقبل الأمر لا يكون إلا نتيجة للتوافق والتفاهم الناتج عن تشاور الأب والأم في شأن رضيعهما، وما يحتاجه من متطلبات، وهذا مما يؤكد أن الأمر- هنا – بمعني التشاور؛ لذلك فهو من المعاني المجازية لمادة « أ م ر»؛ لأن الأمر بمعناه الحقيقي لا يكون إلا من الأعلى إلى الأدنى، ولكن في حالة إذا تساوى الطَّرفان، وكان بينهما شِقاق، وخاصة إذا حدث الطلاق؛ فيكون في نفس كل منهما ثقل وكِبر وتشاحن، فلو لم يكن هناك تشاور وتفاهم وقبول بينهما لما تحقق ائتمار أحدهما برأي الآخر وقوله؛ لذا كان التشاور والتفاهم، هو الأوجه والأنسب في تحديد دلالة مادة «أ م ر» في هذه الآية الكريمة.

***

سادساً: الكفر والشرك والعصيان والطغيان:

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٥ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ (١).

يقول الله تعالى لكفار قريش ومشركيها: ألم يأتكم أيها الناس خبر الذين كفروا من قبلكم، كقوم نوح وعاد وثمود، وقوم إبراهيم، وقوم لوط، وغيرهم من القوم الذين كفروا بالله وبرسالات الرسل بعدما كانت تأتيهم رسلهم بالبينات، ولكنهم كانوا يستكبرون، وظلوا في عصيانهم وكفرهم؛ فهؤلاء القوم الذين كفروا من قبلُ، مَسَّهم عذاب الله نتيجة كفرهم، ولهم عذاب أليم موجع يوم القيامة(٢) .

فالشاهد معنا – هنا – هو تحديد دلالة مادة «أ م ر» في قوله تعالى: **{فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ}**.

---

(١) سورة التغابن الآيتان (٥، ٦) .

(٢) ينظر: تفسير الطبري ٤١٧/٢٣ والهداية إلى بلوغ النهاية ٧٥٠١/١٢ .

فعند إمعان النظر في معنى لفظ «أمر» – هنا– نجد أن السياق يحدد معناه؛ ليكون بمعنى: الكفر والشرك والعصيان، أي فذاقوا العذاب بسبب كفرهم وعصيانهم، وهذا المعنى هو الذي صرح به المفسرون والعلماء المتخصِّصون؛ فيقول الإمام النسفي في ذلك «ألم يأتكم: الخطاب لكفار مكة **{ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ }** ، يعني قوم نوح وهود وصالح ولوط **{ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ}** أي ذاقوا وبال كفرهم بالدنيا... »[1] .

ويقرر ذلك ابن عجيبة في تفسيره مضيفًا أنه تعالى عَبَّرَ بالأمر إيذانًا وإشعارًا بأن الكفر أمر هائل، وجناية عظيمة، فبيَّن ذلك قائلاً: « **{فذاقوا وبالَ أمرهم}** أي: شؤم كفرهم في الدنيا من الهلاك والاستئصال. والوبالُ: الثقل والشدة، وأمرهم: كفرهم، عَبَّر عنه بالأمر إيذاناً بأنه أمر هائلٌ، وجناية عظيمة»[2].

ويؤكد الشوكاني ذلك المعنى قائلاً: « وَالْخِطَابُ لِكُفَّارِ الْعَرَبِ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ، وَالْوَبَالُ: الثِّقَلُ وَالشِّدَّةُ، وَالْمُرَادُ بِأَمْرِهِمْ هُنَا مَا وَقَعَ مِنْهُمْ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي»[3] .

إذًا فالمراد بالأمر – هنا – هو معنى الكفر والعصيان، أي: ذاقوا العذاب بسبب كفرهم، وعصيانهم، وشركهم بالله، وعدم إيمانهم بالله ورسوله، ومما يؤكد لنا هذا المعنى ما يلي:

١– دلالة السياق اللغوي وتحديده لهذا المعنى، وأنَّ هذا المعنى هو المقصود والسياق اللغوي للآيات فقد سبق لفظ **{وَبَالَ أَمْرِهِمْ}** قوله تعالى: **{ألم**

---

(١) تفسير النسفي ٤٩١/٣ وينظر: تفسير البيضاوي ٢١٧/٥ والسراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير للخطيب الشربيني ٣٠١/٤.

(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجديد لابن عجيبة ٥٨/٧ وينظر: تفسير القاسمي ٢٤٣/٩.

(٣) فتح القدير للشوكاني ٢٨١/٥.

يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ }؛ فالذين كفروا ذاقوا العذاب عقوبة لكفرهم، هذا بالنسبة للقرينة اللغوية الأولى، وهناك قرينة لغوية أخرى، وهي في الآية التالية، والمتمثلة في قوله تعالى: « **فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا** »؛ فسياق الكلام – هنا – جميعه منصبٌّ على أخبار الذين كفروا، وأنهم ذاقوا عقوبة كفرهم مع أنهم كانت تأتيهم رسلهم، وتدعوهم إلى الإيمان، ولكنهم كفروا وتولوا، وظلوا في كفرهم وشركهم وعصيانهم .

٢ – دلالة سياق الحال على هذا المعنى؛ وذلك لأن الحديث والخطاب في هذه الآيات موجه إلى كفار قريش ومشركيهم، الذين ما زالوا في كفرهم، وعصيانهم، وشركهم بالله رغم دعوة سيدنا محمد (ﷺ) لهم، وخوفه عليهم من العذاب الأليم الذي أصاب الأمم التي كفرت ممن قبلهم.

***

قوله تعالى: ﴿ **وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا** ﴾ (١).

يحذر الله تعالى من عصيانه وتعدي حدوده، ويضرب الأمثال بالأمم السابقة قائلاً سبحانه: **{وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ }** أي: وكثير من أهل قرية من الأمم السالفة طغت، وتمردت على أوامر الله وأوامر رسله، فجازيناها على كفرها وعصيانها وطغيانها بأنواع العذاب الأليم، وعذابًا عظيمًا يفوق التصور**{فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا }**، أي فذاقت عاقبة كفرها وطغيانها وتمردها على أوامر الله، وكان نتيجة ذلك الهلاك والدمار والخسران الذي ما بعده خسران(٢) .

---

(١) سورة الطلاق الآيتان (٨، ٩)

(٢) صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني ٣٧٨/٣ بتصرف يسير.

تعددت أقوال المفسرين في تحديد دلالة لفظ «الأمر» في قوله تعالى: **{فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا }**، وذلك على النحو التالي:

١- بمعنى الكفر والعصيان والطغيان، فذاقت وبال أمرها، أي: عقوبة كفرها(١)، وقد نسب الواحدي والرازي هذا المعنى وهذا الرأي لابن عباس؛ فيقول الواحدي: « قال ابن عباس: يريد عاقبة كفرها»(٢)، وكان ممن فسرها بهذا المعنى من العلماء: القرطبي، والبيضاوي، وابن عادل الدمشقي، والشوكاني(٣).

٢- بمعنى الذنب: أي جزاء ذنبها، وهذا المعنى ذكره مقاتل بن سليمان في تفسيره(٤).

وهذا الرأي هو الذي عليه علماء الوجوه والنظائر؛ فلفظ « الأمر» – هنا – يقصد به عندهم معنى الذنب **{فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا }**، أي جزاء ذنبها(٥).

٣- بمعنى: العمل، أي عقوبة عملها، وهذا المعنى ذكره مكي بن أبي طالب القيسي(٦).

---

(١) تفسير الماتريدي ٧١/١٠.

(٢) التفسير البسيط للواحدي ٥١٩/٢١، وينظر: مفاتيح الغيب للرازي ٥٦٥/٣٠.

(٣) ينظر: تفسير القرطبي ١٧٣/١٨، وتفسير البيضاوي ٢٢٢/٥، واللباب في علوم الكتاب ١٧٧/١٩، وفتح القدير للشوكاني ٢٩٤/٥.

(٤) تفسير مقاتل ٣٦٧/٤، وينظر: بحر العلوم للمسرقندي ٤٦٤/٣، ٤٦٥، وزاد المسير ٣٠٣/٤.

(٥) ينظر: التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه ص ٢٣٤، وتأويل مشكل القرآن ٢٧٧/١، والوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري ص ٧٣، والوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز للدامغاني ص ٤٢، وبصائر ذوي التمييز ٤١/٢.

(٦) الهداية إلى بلوغ النهاية ٧٥٥١/١٢.

٤- بمعنى: الحال والشأن، وهذا المعنى فسرها به الطاهر بن عاشور، وذلك عند قوله: « والأمر: الحال والشأن، وإضافة الوبال إلى الأمر من إضافة المسبب إلى السبب، أي ذاقوا الوبال الذي تسبب لهم فيه أمرهم وشأنهم الذي كانوا عليه»(١).

هذه هي المعاني التي ذكرها المفسرون عند تفسيرهم لكلمة «أمرها» في الآية السابقة، وإن كان السياق يميل إلى المعنى الأول، وهو معنى: الكفر والشرك والعصيان والطغيان، فهو المعنى المناسب وسياق الآيات، فالسياق يرجح ويؤيد المعنى الأول، وذلك لما يلي:

- أن الله تعالى في الآية السابقة لها يضرب لنا الأمثال بهلاك الأمم السابقة التي كفرت وعصت أوامر الله، فحاسبها الله حسابًا شديدًا، وعذبها الله عذابًا نكرًا، فذاقت هذا العذاب عاقبة لكفرها وعصيانها.

- نلاحظ دائمًا في النسق القرآني، وفي سرد القصص القرآني للآيات أنه في كثير من الآيات: العذابُ يكون نتيجة للكفر؛ فيقول الله تعالى في كثير من المواضع: **{فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ}**(٢).

- إذا نظرنا في قوله تعالى: ﴿ **وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ** ﴾(٣)، ففي هذه الآية الكريمة يوضح لنا الله تعالى، ويضرب لنا المثل أن كفر أهل هذه القرية - الآمنة المطمئنة التي يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان - كان سببًا في عذابها.

---

(١) التحرير والتنوير ٣٣٥/٢٨.

(٢) سورة آل عمران الآية (١٠٦)، وكذلك سورة الأنعام الآية (٣٠)، وسورة الأنفال الآية (٣٥)، وسورة الأحقاف الآية (٣٤).

(٣) سورة النحل الآية (١١٢).

– ومما يؤكد هذا المعنى– أيضًا– قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (١)، فهذه الآية تؤكد لنا أن الله تعالى يغفر الذنوب جميعًا، وذلك مما يبين لنا أن المراد بقوله: {فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا} أي: عقوبة كفرها وليس ذنبها؛ لأن الله تعالى يغفر الذنوب جميعا إلا الكفر والشرك به، فلو كان لأهل هذه القرية ذنوب تغفر، وتابوا إلى الله لغفرها لهم، ولكن الله عذبهم بسبب إصرارهم على الكفر، وعنادهم الشديد وشركهم، وعبادتهم لغير الله، والله أعلم.

– وكذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ (٢)، فالله تعالى لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك من الذنوب.

– ويؤكد ذلك – أيضًا– ما روي عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء أنه قال: « جَاوَرْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً فِي دَارِهِ، وَمَا مِنَ الْقُرْآنِ آيَةٌ إِلَّا وَقَدْ سَأَلْتُهُ عَنْهَا، وَكَانَ رَسُولِي يَخْتَلِفُ إِلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ غُدْوَةً وَعَشِيَّةً، فَمَا سَمِعْتُ مِنَ أَحَدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَلَا سَمِعْتُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ لِذَنْبٍ: إِنِّي لَا أَغْفِرُهُ إِلَّا الشِّرْكَ بِهِ »(٣).

– وهناك قرينة أخرى – غير ما سبق – وردت في الآية اللاحقة لها، وهي في قوله تعالى: ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴾ (٤)، فذِكر الله تعالى للذين آمنوا في هذا الموضع يؤكد لنا أن

---

(١) سورة الزمر الآية (٥٣).

(٢) سورة النساء الآية (٤٨).

(٣) رواه أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء في كتاب الطبقة الأولى من التابعين باب: أوس بن عبد الله ومنهم المجانب للأهواء والآراء، المفارق للتلاعن والأسواء، أوس بن عبد الله أبو الجوزاء ٣/٧٩.

(٤) سورة الطلاق الآية (١٠).

المستحقين للعذاب في الآية السابقة- موطن الشاهد- هم أهل الكفر والشرك بالله، وهم أهل القرية المستحقة للعذاب، وأنها ذاقت هذا العقاب بسبب كفرها.

فيكون المعنى الأنسب – هنا- والذي يؤيده السياق، هو المعنى الأول، وهو: الكفر والعصيان والشرك بالله خاصة، وليس الذنب عامة، كما ذكر علماء الوجوه والنظائر.

***

سابعًا: بمعنى الساعة ويوم القيامة:

قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ (١) .

اتَّحدت أقوال العلماء والمفسرين في أن دلالة مادة «أ م ر» – هنا- دلالة مجازية وليست حقيقية، ولكن اختلفت وتعددت أقوالهم في تحديد هذه الدلالة المجازية، وذلك على النحو التالي:

١- بمعنى: القيامة، وهو تفسير جمهور المفسرين، والقول الذي اتفقت عليه كتب الوجوه والنظائر(٢) .

٢- بمعنى: العقوبة والعذاب، وكان ممن ذكر ذلك أبو منصور الماتريدي، والسمرقندي، والسمعاني، وابن الجوزي(٣) .

٣- بمعنى: الأحكام والفرائض، وذكر هذا المعنى السمعاني، وابن عطية، وابن الجوزي(٤).

---

(١) سورة النحل الآية (١) .

(٢) ينظر: التصاريف في تفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه ٢٣٣/١ وتأويل مشكل القرآن ٢٧٧/١ والوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري ص ٧٣، والوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز ص ٤١ وتفسير ابن عطية ٣٧٧/٣ وبصائر ذوي التمييز ٤١/٢ .

(٣) ينظر: تفسير الماتريدي ٤٧١/٦ وبحر العلوم ٢٦٥/٢ وتفسير السمعاني ١٥٨/٣ وزاد المسير في علم التفسير ٥٤٩/٢ .

(٤) ينظر: تفسير السمعاني ١٥٨/٣ وتفسير ابن عطية ٣٧٧/٣ وزاد المسير ٥٤٩/٢.

٤- بمعنى: مجيء رسول الله (ﷺ)، وظهوره وخروجه، وذلك رواه الضحاك عن ابن عباس، وذلك يعني: أن خروجه من أمارات الساعة[١].

٥- بمعنى: نصر محمد (ﷺ)، وهذا القول ذكره ابن عطية في تفسيره[٢].

٦-بمعنى: الوعيد للمشركين، وهذا المعنى ذكره الماوردي، وابن الجوزي[٣].

هذه هي المعاني المجازية التي فسَّر بها العلماء كلمة «أمْر» في قوله تعالى: **{أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ }**، واختار جمهور المفسرين المعنى الأول، وهو معنى «الساعة ويوم القيامة»، والبحث يميل إلى هذه الدلالة؛ وذلك لأن سبب نزول هذه الآية يرشح ويؤكد هذا المعنى، فقد جاء في سبب نزول هذه الآية: قال ابن عباس: لما أنزل الله تعالى: **{اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ }** [٤] قال الكفار بعضهم لبعض: إنَّ هذا يزعم أنَّ القيامة قد قَرُبت، فأمْسِكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى ننظر ما هو كائن، فلما رأوا أنه لا ينزل شيء، قالوا: ما نرى شيئًا، فأنزل الله تعالى: **{اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ}**[٥]، فاشفقوا وانتظروا قرب الساعة، فلما امتدت الأيام قالوا: يا محمد ما نرى شيئًا مما تُخَوِّفُنَا به، فأنزل الله تعالى: **{أَتَى أَمْرُ اللَّهِ }**، فوثب النبي (ﷺ) ورفع الناس رؤوسهم، فنزل: **{ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ }** فاطمأنوا، فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله (ﷺ): « بعثت أنا

---

(١) ينظر: تفسير الماتريدي ٤٧١/٦ وزاد المسير ٥٤٩/٢.

(٢) تفسير ابن عطية ٣٧٧/٣ .

(٣) ينظر: تفسير الماوردي ١٧٨/٣ وزاد المسير ٥٤٩/٢.

(٤) سورة القمر الآية (١) .

(٥) سورة الأنبياء الآية (١) .

والساعة كهاتين، وأشار بأصبُعِهِ – إن كادت لتسبقني»[(١)][(٢)].

فبهذه القرينة السابقة يتأكد لنا أن «أمر الله»– هنا– المقصود به: الساعة ويوم القيامة، وهذا المعنى من المعاني المجازية، وليس من المعاني الحقيقية، والذي حدد هذا المعنى هو القرينة السياقية.

وهناك قرينة أخرى – أيضًا– غير سبب النزول، وهي قوله تعالى: **{فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ}**، فهي مما يؤكد أن معنى « أَمر الله» – هنا – معناه القيامة؛ لأنها بمثابة الرد على المكذبين بالبعث القائلين: متى هذا الوعد؟[(٣)]

وهناك قرينة ثالثة – أيضًا– وهي أن معظم ما اشتملت عليه هذه السورة هو تذكير العباد بمجيء يوم القيامة، وأنه قريب، وإثبات وحدانية الله تعالى، وكذلك ذكر حال وموقف الكثير من الكفار والمستكبرين يوم القيامة، ومصيرهم من دخول النار، وموقف المؤمنين وحالهم، وما أعده الله لهم من جنة دائمة، ونعيم مقيم.

***

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ

---

(١) رواه الإمام البخاري في كتاب: الرقاق باب: قول النبي (ﷺ) بعثت أنا والساعة كهاتين الحديث (٦٥٠٤) ١٠٥/٨، ورواه الإمام أحمد في مسنده ولكن بنص مختلف قليلاً. ينظر: مسند الإمام أحمد كتاب: تتمة مسند الأنصار باب: حديث بريدة الأسلمي الحديث (٢٢٩٤٧) ٣٦/٣٨ .

(٢) أسباب نزول القرآن للواحدي ٢٧٨/١ وتفسير البغوي ٧١/٣ وزاد المسير ٥٤٩/٢ .

(٣) ينظر: تفسير الثعالبي ٤١٠/٣.

ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (١) .

يصور الله تعالى موقف العباد يوم القيامة، فبدأ بحال المؤمنين والمؤمنات، والنور الذي يسعى بين أيديهم، وذلك نتيجة تصديقهم لله ورسوله، وأعمالهم الصالحة؛ فيدخلون جنات تجري من تحتها الأنهار، ثم بعد ذلك يصور لنا الله تعالى حال المنافقين والمنافقات، وسوء موقفهم، وذلهم وما ينالونه من عذاب وخزي؛ وذلك بسبب نفاقهم، وعدم إيمانهم، وحبهم للدنيا، وظنهم أنهم خالدون فيها؛ فيكون مصير هؤلاء المنافقين، ومن على شاكلتهم من الكفار أنهم يدخلون النار، وتكون هي مصيرهم.

الشاهد معنا – هنا – هو تحديد دلالة مادة « أ م ر» في قوله تعالى: **{حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ}**، فعند الرجوع إلى أقوال علماء التفسير نجد اتفاق أقوالهم في إنها استخدمت للدلالة على معنى مجازي، وأن هذا الأمر ليس على حقيقته، ولكن اختلفت وتعددت أقوالهم في هذا المعنى المجازي، وذلك على النحو التالي:

١– بمعنى: القيامة، وهذا المعنى صرح به علماء الوجوه والنظائر، وغيرهم من العلماء(٢).

٢– بمعنى: الموت، وقد صرح بهذا المعنى: الماوردي، وابن الجوزي، والقرطبي، وابن كثير(٣) .

---

(١) سورة الحديد الآيات (١٢: ١٥) .

(٢) ينظر: التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه ٢٣٣/١ وتأويل مشكل القرآن ٢٧٧/١، وبحر العلوم للسمرقندي ٤٠٥/٣، والوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري ص ٧٣ والوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز ص ٤٢ .

(٣) ينظر: تفسير الماوردي ٤٧٦/٥ وزاد المسير ٢٣٤/٤، وتفسير القرطبي ٢٤٧/١٧، وتفسير ابن كثير ٥٢/٨.

٣- بمعنى: إلقاء المنافقين والكفار في النار، وقد صرح بهذا المعنى -أيضًا-: الماوردي، والواحدي، والقرطبي، والشوكاني[١] .

٤- بمعنى: نصره النبي (ﷺ)، وقد صرح بهذا المعنى القرطبي في أحد أقواله، والشوكاني [٢] .

٥- بمعنى: الفتح وظهور الإسلام، وهذا المعنى انفرد به ابن جزي الغرناطي في تفسيره[٣].

٦- بمعنى: الهلاك، وهذا المعنى انفرد به الماتريدي في تفسيره [٤].

٧- بمعنى: قضاء الله، وهذا المعنى انفرد به الخطيب الشربيني في تفسيره[٥].

هذه هي المعاني والدلالات التي ذكرها المفسرون عند تفسيرهم لقوله تعالى **{ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ}**، وإن كان السياق يؤيد المعنى الأول، وهو أن أمر الله بمعنى: يوم القيامة؛ وذلك لأن الله تعالى في هذه الآيات يعرض لنا صورة وموقف وحال العباد يوم القيامة، بدأ في ذلك بعرض حال المؤمنين وهيئتهم في ذلك اليوم، وبشَّرهم بالجنات التي تجري من تحتها الأنهار، ثم بعد ذلك يكشف عن حال وهيئة المنافقين والمنافقات، وحديثهم مع المؤمنين، وحسرة هؤلاء المنافقين على حالهم، وخزيهم بسبب عدم إيمانهم؛ فمقام الحديث كله – هنا- عن يوم القيامة .

---

(١) ينظر: تفسير الماوردي ٤٧٦/٥ والتفسير الوسيط للواحدي ٢٤٩/٤ وتفسير القرطبي ٢٤٧/١٧ وفتح القدير للشوكاني ٢٠٥/٥ .

(٢) ينظر تفسير القرطبي ٢٤٧/١٧ وفتح القدير للشوكاتي ٢٠٥/٥ .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الغرناطي ٣٤٦/٢ .

(٤) ينظر: تفسير الماتريدي ٥٢٣/٩ .

(٥) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير للخطيب الشربيني ٢٠٧/٤.

وكذلك توجد قرينة لغوية أخرى في الآية التالية؛ فإن هؤلاء المنافقين ومن معهم من الكفار في هذا اليوم – وهو يوم القيامة – لا يؤخذ منهم فدية، ولا يقبل منهم أعذار ولا أقوال ولا أعمال، فمأواهم النار هي مولاهم وبئس المصير .

إذاً فالآيات السابقة واللاحقة لصيغة (أمر) جميعها معرض حديثها عن يوم القيامة، وذلك من القرائن التي ترشح وتحدد أن المراد بقوله تعالى **{حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ}**، أي: حتى جاءت الساعة وجاء يوم القيامة، والله أعلم .

***

ثامناً: بمعنى وقوع العذاب:

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١) .

يصور الله سبحانه وتعالى في هذه الآية، وفي الآية السابقة لها موقف أهل النار، وخزيهم، وحسرتهم على ضياع آخرتهم بدنياهم، ففي يوم القيامة عند معرفة أهل النار بمقعدهم من النار، فيقول الضعفاء منهم – وهم المُتَّبِعُون– للذين استكبروا – وهم المُتَّبَعُون–: إنا كنا لكم تبعا، واتبعنا ملتكم في الدنيا، وسرنا على مذهبكم وخطاكم في الدنيا، فهل أنتم تملكون أن تخففوا عنا من عذاب الله من شيء؟! ولكن هؤلاء الكفار الذين استكبروا في الحياة الدنيا لا يملكون أن يخففوا عن أنفسهم، ولا عن غيرهم من هذا العذاب الواقع عليهم.

---

(١) سورة إبراهيم الآية (٢٢).

ثم بعد ذلك يصور الله لنا حوار أهل النار مع الشيطان الذي قام بغوايتهم في الحياة الدنيا، وتخلى الشيطان عنهم، وذلك لأنه لا يملك لهم ولا لنفسه شيئا، فيقول الشيطان لأهل النار بعد وقوع العذاب عليهم، وبعد دخولهم النار: إن الله وعدكم وعد الحق، وبيَّن لكم ذلك في كتبه السماوية، وعلى لسان رسله، وبيَّن لكم طريق الحق والنجاة من النار، وأنا وعدتكم بسراب، وبنعيم زائل، وأهواء زائفة، وبعد أن وعدتكم بذلك، فأنا اليوم أخلفتكم؛ لإني لا أملك لنفسي ولا لكم شفاعة، وعندما اتبعتم وعدي في الدنيا لم يكن لي عليكم سلطان، ولم تكن لي قوة خارقة تجبركم على اتباعي، ولكن بمجرد أن دعوتكم فاستجبتم لي، فلا تلوموني على دعوتي لكم وغوايتكم، ولكن لوموا أنفسكم على اتباعكم واستجابتكم لي، فإنا اليوم لا أملك أن أغيثكم، ولا أنتم تملكون إغاثتي من عذاب الله، ومن نار جهنم [١] .

فالشاهد معنا – هنا – هو تحديد دلالة مادة «أ م ر» في قوله تعالى: **{وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ }**، فمن خلال مطالعة كتب التفسير، ومؤلفات الوجوه والنظائر نجد اتَّحاد أقوال علماء الوجوه والنظائر في تحديد دلالتها، ووجود بعض الأقوال الأخرى لبعض المفسرين، وذلك على النحو التالي:

١– أنها بمعنى العذاب، وهذا الرأي هو الذي اتَّحدت عليه مؤلفات الوجوه والنظائر، فمن أقوالهم: تفسير « أمر» على ثلاثة عشر وجهًا ... الوجه الثالث: أمر يعني: العذاب، وذلك قوله في سورة إبراهيم: **{وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ }** يعني لمَّا وجب العذاب لأهل النار قال في كهعيص: **{إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ}**[٢] يعني: وجب العذاب، وقال في هود:

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ٥٥٧/١٦ وما بعدها.

(٢) سورة مريم من الآية (٣٩) .

{وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ} [١] يعني: وجب العذاب، وهو الغرق[٢].

٢- أنها بمعنى: الحساب، أي: لما فرغ من الحساب، ومن أمرهم[٣] .

٣- أنها بمعنى: الفصل بين العباد، فاستبان أهل الجنة من أهل النار، وكذلك لما قضى الله بين العباد، واستقر أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار[٤] .

هذه هي أقوال المفسرين في تحديد دلالة لفظ «الأمر»، ونلاحظ أن الآراء الثلاثة جميعها دلالات مجازية لصيغة «أمر»، وليست حقيقية، وإن كان أقرب المعاني هو المعنى الأول، وذلك لتناسبه مع سياق الآية، وذلك لوجود بعض القرائن السياقية التي تحدد هذا المعنى، وتتناسب معه، وذلك كما يلي:

- أن كلام الشيطان كان موجها لأهل النار ممن اتبعوه، وتركوا الطريق المستقيم الذي أمرهم الله به، وذلك وقت وقوع العذاب، فهو لا يستطيع إغاثتهم ولا نجدتهم من النار، وهم كذلك، فهم وقت وقوع العذاب عليهم يحاولون أن يستنجدوا بالشيطان الذي أغواهم ووعدهم، فأخلفهم، ويلومونه بالقول والنظرات، فيجيب عليهم بأنه ليس له عليهم سلطان إلا أنه دعاهم فاستجابوا له، فهم الذين يستحقون اللوم.- أننا نلاحظ أن المعنيين الآخرين، وهما الحساب، والفصل بين العباد؛ أي لما فرغ الله تعالى من الحساب

---

(١) سورة هود من الآية (٤٤) .

(٢) التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه ليحيى بن سلام ص ٢٣٢، وينظر: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ٢٧٧/١، والوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري ص ٧١ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤١ .

(٣) تفسير الماتريدي ٣٨٤/٦، وينظر: تفسير الزمخشري ٥٥٠/٢ .

(٤) ينظر: تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ٣٦٦/٢، وينظر: التفسير الوسيط للواحدي ٢٨/٣.

والفصل بين العباد، واستقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار، فمن الطبيعي أن بعد الفراغ من الحساب، والفصل بين العباد أن يكون الشيطان مع الكفار ومن اتبعه من المستكبرين والغاوين في النار، ومن ثَمَّ فهم حينئذ في العذاب؛ فتحاور الشيطان – هنا – قائم مع أهل النار، وذلك لما وقع العذاب، ورأى المجرمون النار ولهيبها– عياذا بالله–.

– أن حديث الشيطان كاملاً كان مع أهل النار الذين وقع عليهم العذاب، ويكون ذلك بعد وقوع الحساب، والفراغ منه، وبعد الفصل بين العباد، وبعد أن يذهب أهل الجنة إلى جنتهم التي وعدهم الله بها، ويذهب أهل النار إلى مثواهم، فبذلك يكون قد وقع العذاب، ورأى المجرمون موقعهم من النار، فمن نعمة الله تعالى على الذين آمنوا أن الشيطان ليس له عليهم سلطان، ولا يستطيع الحديث إليهم في الآخرة، وإنما حديثه مع من اتبعه من أهل النار، وصدق الله إذ يقول: ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾ (١) .

***

قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢).

فالمعنى في هذه الآية: أي أنذر أيها الرسول الكريم المشركين، وخوفهم من أهوال يوم القيامة، يوم يتحسر الظالمون على تفريطهم في طاعة الله، ولكن هذا التحسر لن ينفعهم، لأن حكم الله قد نفذ فيهم، وقضي الأمر بنجاة المؤمنين، وبعذاب الفاسقين، وذهب أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار(٣) .

---

(١) سورة النحل الآيتان (٩٩، ١٠٠) .

(٢) سورة مريم الآية (٣٩) .

(٣) التفسير الوسيط: د/ محمد سيد طنطاوي ٣٨/٩، ٣٩ .

في هذه الآية الكريمة وردت مادة «أ م ر» في قوله تعالى: **{ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ}**، ومن المعلوم أن مادة «أ م ر» دائمًا يكتنفها الإبهام مثل كلمة «شيء»؛ لذلك نجد لها معاني حقيقية، وأخرى مجازية، والذي يحدد المعنى هو السياق الذي وردت فيه؛ فلذلك تنوعت أقوال العلماء في تفسير **{ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ }**، فذكروا المعاني الآتية:

١- بمعنى: العذاب، أي: إذ وجب العذاب فوقع بأهل النار(١) .

٢- بمعنى: الحساب، أي: فرغ من الحساب(٢) .

٣- بمعنى: يوم القيامة، أي: أمر الله بمجيء يوم القيامة(٣) .

٤- بمعنى: ذبح الموت(٤) .

فقد روي عن أبي سعيد الخدري أنه قال: قال رسول الله (ﷺ): « يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ(٥) وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: وهَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ، وَيَا

---

(١) التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه ص٣٤٢، وينظر: الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري ص٧١، وتفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ٩٦/٣ .

(٢) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل لأبي القاسم الكرماني ٦٩٨/٢، وتفسير القرطبي ١٠٩/١١.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير ١٠٩/١٦

(٤) التفسير الوسيط للواحدي ١٨٤/٣، وينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل ٦٩٨/٢.

(٥) اشرأب: أي ارتفع وعلا، وكل رافع رأسه مُشرئب، فيشرئبون: أي يرفعون رؤوسهم لينظروا إليه. ينظر: تهذيب اللغة « ش ر ب» ٢٤٣/١١، والنهاية في غريب الحديث «ش ر ب» ٤٥٥/٢.

أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ، ثُمَّ قَرَأَ: {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ }[1] »[2] .

فنلاحظ في هذه المعاني السابقة أنها متقاربة بعضها من بعض، فجميع هذه المعاني ترتبط بأهل النار، فإن الكفار يوم الحساب فهم في عذاب، ويوم القيامة – أيضًا– فهم في عذاب، وعند وقت ذبح الموت فهم في ذلك الوقت يكونون قد ذاقوا العذاب، وفي حسرة من أمرهم، ففي هذه الأمور الثلاثة فهم في عذاب: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾[3].

فالعذاب محيط بالكافرين من بعد فراقهم للحياة الدنيا، وفي وقت الحساب يوم القيامة، وعند ذبح الموت، وعلمهم بذلك أنهم خالدون في النار، ففي جميع هذه المراحل والكفار في عذاب مقيم، فمن ثَمَّ كان المعنى الذي يرشحه السياق – هنا– هو أنَّ " **قُضِيَ الأَمْرُ** " معناه: وأنذرهم يوم الحسرة إذ وجب العذاب، فوقع بأهل النار.

***

تاسعًا: بمعنى فتح مكة:

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[4] .

---

(١) سورة مريم الآية (٣٩) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه كتاب: تفسير القرآن باب: وأنذرهم يوم الحسرة الحديث (٤٧٣٠) ٩٣/٦ وينظر: تفسير البغوي ٢٣٤/٣ .

(٣) سورة الزخرف الآيات (٧٤: ٧٧) .

(٤) سورة التوبة الآية (٢٤) .

الآية السابقة تتحدث عن المتخلفين عن الهجرة والجهاد، والمعنى: قل يا محمد للمتخلفين عن الهجرة والجهاد: إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اكتسبتموها وتجارة تخشون فواتها وذهابها وضياعها ومساكنكم ومنازلكم بمكة تعجبكم الإقامة فيها أحب إليكم من الله ورسوله، فإن كانت هذه الأشياء أحب إليكم من أن تهاجروا إلى الله ورسوله بالمدينة، وهذا الجهاد في طاعة الله؛ فتربصوا أي: فانتظروا حتى يأتي الله بفتح مكة، والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن طاعة الله [١].

تعددت أقوال المفسرين عند تفسيرهم لمادة «أ م ر» في قوله **{حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ}**، فجاء معناها على النحو التالي:

١- بمعنى: فتح مكة، وهذا رأي مجاهد، ومقاتل، وكثير من المفسرين[٢].

٢- بمعنى: العذاب والعقوبة عاجلة أو آجلة[٣] .

٣- بمعنى: القتال، أي: حتى يأمر الله بقتال آبائكم وأبنائكم وإخوانكم وعشيرتكم، وهذا الرأي انفرد به الضحاك [٤].

٤- بمعنى: ظهور الإسلام وقوة أهله، وهذا الرأي جوَّزه أبو هلال العسكري بعد معنى فتح مكة[٥].

---

(١) ينظر: تفسير الماتريدي ٣٢٣/٥ وبحر العلوم للسمرقندي ٤٨/٢ والكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي ٢١/٥ وما بعدها .

(٢) ينظر: تفسير مجاهد ٣٦٦/١ وتفسير مقاتل بن سليمان ١٦٤/٢ والتصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه ص٢٣٢، وتفسير الطبري ١٧٧/١٤، والكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي ٢٢/٥، والتفسير البسيط للواحدي ٣٤٢/١٠ وتفسير الزمخشري ٢٥٧/٢.

(٣) ينظر: تفسير الماتريدي ٣٢٢/٥ والهداية إلى بلوغ النهاية ٢٩٥٦/٤ وتفسير الماوردي ٣٤٩/٢، والتفسير البسيط للواحدي ٣٤٣/١٠ .

(٤) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي ٤٨/٢ .

(٥) ينظر: الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري ص٧٣ .

٥- بمعنى: الموت، وهذا المعنى ذكره السمرقندي [١] .

٦- بمعنى: يوم القيامة [٢].

٧- بمعنى: قضاء الله، أي: حتى يأتي الله بقضائه [٣].

نلاحظ من خلال المعاني السابقة التي ذكرها العلماء، وفسروا بها قوله تعالى **{حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ}** أن جميع هذه المعاني مجازية وليست حقيقية، وأن هذه المعاني المجازية يحددها السياق؛ فالسياق هو المسئول عن تحديد وترشيح المعنى المناسب، والموافق لمراد الآية الكريمة.

وقد اجتمعت أقوال كثير من المفسرين على أن معنى: **{حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ}**، أي: حتى يأتي الله بفتح مكة، فهذا المعنى هو الأنسب ومراد الآية الكريمة، وأن خطاب الله تعالى هنا لسيدنا محمد (ﷺ) لكي يحث المؤمنين على الهجرة، وعلى الجهاد في سبيل الله بترك الآباء والأولاد، والإخوان، والأزواج، والأهل، والأموال، والتجارة، والمنازل، والأوطان؛ فإن الله تعالى قدير على أن ينصرهم ويردهم من هجرتهم بعزة الإسلام، وبعزة النصر والقوة، وفتح مكة، ورجوعهم لديارهم، وأموالهم، وأهلهم، وأولادهم، وما تركوه لنصرة الإسلام، ولا تكون نصرة المهاجرين التاركين لأوطانهم إلا بفتح مكة، ودخول الإسلام بها، وإظهاره للجميع بعد أن كانت دعوتهم للإسلام سرًا، ففتح مكة هو الأمر الذي يتمناه، ويدعو الله به كلٌّ من هاجر لنصرة الإسلام.

***

(١) بحر العلوم ٤٨/٢ .

(٢) ينظر: المصدر السابق نفسه .

(٣) تفسير البغوي ٣٢٨/٢.

عاشرًا: بمعنى: الفصل بين الحق والباطل:

قوله تعالى: ﴿ إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١).

من الألفاظ ذات المعاني المتعددة لفظ «الأمر»، فهو يتضمن في طيات مادته الأصلية عدة معان يعمل السياق على تحديد المعنى المراد من بين هذه المعاني.

وفي الآية السابقة ذكر العلماء والمفسرون المعاني التي تحتملها كلمة «الأمر» في قوله تعالى: **{لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا}**، وذلك على النحو التالي:

١- بمعنى: قتل كفار مكة يوم غزوة بدر، وهذا القول ذهب إليه علماء الوجوه والنظائر(٢).

٢- بمعنى: إعزاز الإسلام وأهله، وإذلال الشرك وأهله أو نصر المؤمنين، وتعذيبه للمشركين بالسيف والأسر(٣).

٣- بمعنى: التأليف بينهم على الحرب؛ للنقمة ممن أراد الانتقام منه، والإنعام على من أراد إتمام النعمة عليه من أهل ولايته(٤).

---

(١) سورة الأنفال الآية (٤٢) .

(٢) ينظر: التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه ص ٢٣٢، والوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري ص ٧٢، والوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز ص ٤١، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٤٠/٢ .

(٣) ينظر: تفسير الطبري ٥٦٦/١٣، والهداية إلى بلوغ النهاية ٢٨٣١/٤، وتفسير البغوي ٢٩٧/٢.

(٤) ينظر: تفسير الطبري ٥٧٣/١٣ .

٤- بمعنى: ما وعد النبي (ﷺ)، وهو بمكة وبعدما هاجر، وكذلك سبق في علمه في اللوح المحفوظ(١).

٥- بمعنى: إظهار الخوارق الدالة على صدق دين الإسلام، وكذب دين الكفر(٢).

٦- بمعنى: الفصل بين الحق والباطل(٣) .

هذه هي المعاني التي فسَّر بها العلماء معنى «الأمر» في قوله تعالى: **{لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا}**، ونلاحظ مما سبق أن هذه المعاني متقاربة بعضها من بعض، وليس بينها اختلاف كبير بل تكاد جميعها ترجع إلى معنى الفصل بين الحق والباطل، فقتال الكفار وهزيمتهم وإذلالهم، ونصرة الإسلام وأهله ما هو إلا فصل بين الحق والباطل، وكذلك ما وعد الله تعالى به نبيه من قبل فهو كذلك أيضًا، وإظهار الخوارق الدالة على صدق دين الإسلام، وكذب الكفار ودينهم، فهو من باب الفصل بين الحق والباطل.

إذاً فالمعنى المراد هنا هو الفصل بين الحق والباطل، وذلك بنصرة الإسلام والمسلمين، والانتقام من الكافرين وإذلالهم.

وإن كان اجتماع أصحاب الوجوه والنظائر على معنى قتل الكفار ببدر إلا أن هذا المعنى يكاد يكون من المعاني الضيقة التي تقصر قضاء الله لأمره على قتل الكفار ببدر، وفي ذلك تضييق للمعنى، فليس المقصود بالأمر – هنا – قتل الكفار فقط، ولكن المعنى يشمل انهزام الكفار وإذلالهم من جانب، ونصرة الإسلام وأهله من جانب آخر، وكذلك نصرة المؤمنين من خلال إظهار الخوارق والآيات الدالة على صدق الإسلام وأهله، والتي نصر الله بها أولياءه، وجميع ذلك من باب الفصل بين الحق والباطل.

---

(١) التفسير البسيط ١٠/١٨٠ .

(٢) ينظر: تفسير القاسمي ٥/٣٠٢.

(٣) ينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ٤/٧٣.

الحادي عشر: بمعنى الجلاء والقتل:

قوله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١).

تتزاحم المعاني والدلالات حول مادة «أ م ر»؛ لتصل بنا عند قوله تعالى: **{فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ}**، فنقف عند مادة «أ م ر»؛ لنتأمل معناها في هذه الآية، والذي يتناسب مع السياق؛ فنجد أن المفسرين فسروها بما يلي:

١- بمعنى: قتل بني قريظة وإجلاء بني النضير، وهذا الرأي هو الذي عليه الكثير من المفسرين وعلماء الوجوه والنظائر(٢)، واستدلوا على ذلك بأن نزول هذه الآية قبل نزول آية القتال ثم نُسخت هذه الآية بآية القتال، فأتى الله بأمره بقتالهم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (٣)(٤).

٢- بمعنى: مطلق القتال(٥) .

---

(١) سورة البقرة الآية (١٠٩) .

(٢) ينظر: تفسير الطبري ٥٠٣/٢ وما بعدها، والوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري ص ٧٣، والتفسير الوسيط للواحدي ١٩١/١، والوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز ص ٤١، وتفسير الزمخشري ١٧٧/١، وتفسير القرطبي ٧٣/٢ .

(٣) سورة التوبة الآية (٢٩) .

(٤) ينظر: تفسير الطبري ٥٠٣/٢ وما بعدها، وتفسير السمرقندي ٨٤/١، وتفسير السمعاني ١٢٦/١.

(٥) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي١٩٢/١، وأحكام القرآن لابن الفرس الأندلسي ٩٤/١.

٣- بمعنى: آجال بني آدم(١).

٤- بمعنى: القيامة، أو المجازاة يوم القيامة(٢).

٥- بمعنى: قوة الرسالة، وكثرة الأمة(٣).

٦- بمعنى: النصر، والفتح(٤).

٧- بمعنى: فتح قرى اليهود مثل خيبر وفدك، وفتح قسطنطينية، ورومية، وعمورية(٥).

هذه هي المعاني التي ذكرها المفسرون عند تفسيرهم لمعنى مادة «أ م ر» في هذه الآية، ولكن البحث يميل إلى المعنى الأول، والذي ذهب إليه جمهور المفسرين؛ وذلك لتناسبه مع سياق الآية، وتناسبه- أيضًا- مع السوابق واللواحق لهذه الآية، فبداية الآية التي وردت فيها مادة «أ م ر» تدل دلالة واضحة على أن المقصود – هنا- هو قتال يهود بني قريظة، وإجلاء بني النضير؛ حيث يقول الله تعالى: **{وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ}**، وكذلك ذكر بعدها قوله: **{وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى}**(٦)، فالله تعالى أمر رسوله الكريم، ومن تبعه من المؤمنين بأن يعفوا، ويصفحوا، ويصبروا على أفعال هؤلاء اليهود، حتى يأتي الله بأمره تجاههم، حتى نزل أمر الله تعالى في قوله تعالى: **{قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ... }** (٧)، فجاء أمر الله تعالى بقتالهم وإجلائهم، وأخذ الجزية منهم.

---

(١) أحكام القرآن لابن الفرس الأندلسي ١/ ٩٤، وينظر: البحر المحيط ٥٥٩/١.

(٢) البحر المحيط ٥٥٩/١.

(٣) المصدر السابق نفسه ٥٥٩/١.

(٤) تفسير ابن كثير ٢٦٤/١.

(٥) ينظر: تفسير السمعاني ١٢٦/١.

(٦) سورة البقرة من الآية (١١١) .

(٧) سورة التوبة من الآية (٢٩) .

إذًا فقرينة السياق اللغوي – هنا – تؤكد هذا المعنى، وهو القتال والجلاء، وإذا نظرنا إلى سبب نزول هذه الآية لوجدناه – أيضًا– يؤكد لنا هذا المعنى، فقد ورد في سبب نزول هذه الآية: وذلك أن المسلمين لما أصابتهم المحنة يوم أُحُد، قالت اليهود لعمار بن ياسر، وحذيفة بن اليمان: قد أصابكم ما أصابكم، فارجعوا إلى ديننا، فهو خير لكم، فنزلت هذه الآية:**{وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ}** أي: يريد ويتمنى كثير من أهل الكتاب لو يردونكم، أي: يصدونكم، ويردونكم عن التوحيد من بعد إيمانكم كفارًا إلى الكفر... (١).

إذًا فمن خلال ما سبق، ومن خلال مطالعة كتب التفسير، وما بها من آراء للمفسرين يتبين لنا أن المعنى الأول، وهو قتل بني قريظة، وإجلاء بني النضير هو الأنسب، والأقرب إلى سياق الآية .

***

الثاني عشر: بمعنى إظهار أمر المنافقين:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾ (٢) .

يوجه القرآن الكريم الذين آمنوا، واتبعوا النبي محمد (ﷺ) بعدم اتخاذ اليهود، والنصارى أولياء، ويشدد على ذلك، ثم يبين لنا حال المنافقين الذين

---

(١) ينظر: تفسير مقاتل ١٣٠/١، وتفسير السمرقندي ٨٣/١، ٨٤ والعجاب في بيان الأسباب لابن حجر العسقلاني ٣٥٦/١ وما بعدها.

(٢) سورة المائدة الآيتان (٥١، ٥٢) .

في قلوبهم مرض، فهم يظهرون الإيمان لمحمد وأصحابه، ويبطنون الكفر، ويسارعون إلى اليهود والنصارى، ويقولون نخشى أن تصيبنا دائرة، فنحتاج إلى نصرتهم، فهم في اعتقادهم أن نفاقهم هذا أمر فيه خير لهم، فإن فاز المسلمون، وانتصروا فهم معهم، وإن كانت الأخرى، فهم أولياء المشركين، وأنصارهم، ومقربون منهم ومن اليهود والنصارى، ثم يبين لنا القرآن حالهم إذا جاء الفتح ونصر الله تعالى، وظهر حالهم أمام محمد (ﷺ)، ومن معه من المؤمنين، فيصبح هؤلاء – في ذلك الوقت – على ما أسرّوا في أنفسهم من نفاق نادمين.

ونلاحظ في الآية السابقة خروج معنى لفظ «الأمر» من معناه الحقيقي إلى معانٍ أخرى مجازية ذكرها المفسرون، يمكن إجمالها فيما يلي:

١– إظهار أمر المنافقين، وكشف أمرهم أمام المؤمنين(١).

٢– الجزية (٢).

٣– إتمام أمر محمد (ﷺ)(٣).

٤– عذاب الكفار، وهلاكهم في الدنيا(٤) .

٥– القتل والجلاء لليهود، وهلاكهم(٥) .

---

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٨١/٢، وتفسير السمرقندي ٣٩٨/١، والوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري ص ٧٤، والتفسير البسيط للواحدي ٤٢٣/٧، ودرج الدرر في تفسير الآي والسور ٦٧٦/٢ وتفسير السمعاني ٤٥/٢.

(٢) ينظر: تفسير الطبري ٤٠٦/١٠، وتفسير الماوردي ٤٧/٢، والتفسير البسيط للواحدي ٤٢٢/٧، ودرج الدرر في تفسير الآي والسور ٦٧٦/٢ .

(٣) ينظر: تفسير السمعاني ٤٥/٢ وتفسير البغوي ٥٩/٢.

(٤) ينظر: تفسير الماتريدي ٥٤٠/٣.

(٥) ينظر: التفسير البسيط للواحدي ٤٢٢/٧، وتفسير السمعاني ٤٥/٢، وتفسير البغوي ٥٩/٢، وزاد المسير في علم التفسير ٥٥٩/١.

٦- الخصب، والسعة، والرخاء للمسلمين بعد الذي كانوا فيه من ضيق العيش، وشدة الحياة[١] .

٧- أمر من عند الله لا يكون للناس فيه فعل البَتَّة، كبني النضير الذين طرح الله في قلوبهم الرعب[٢] .

٨- قطع أصل اليهود من أرض الحجاز[٣] .

٩- موت المنافقين وهلاكهم[٤] .

١٠- هو ما دون الفتح الأعظم[٥] .

هذه هي المعاني التي أوردها المفسرون عند تفسيرهم وتحديدهم لمعنى «الأمر» في قوله تعالى: **{أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ}**، ونلاحظ أن جميع هذه المعاني مجازية، وتدور جميعها في فلك المجاز، وإن كانت هذه المعاني تكاد تكون متقاربة بعضها من بعض إلا أن البحث يرشح ويؤيد المعنى الأول، وهو إظهار أمر المنافقين؛ وذلك استنادًا إلى ما يلي:

- أن السياق اللغوي يعضد هذا المعنى ويرشحه، فإذا نظرنا إلى الآية الأُولى في قوله: **{وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ}**؛ فالحديث - هنا- مُنْصَبٌّ على المنافقين، وكذلك قوله: **{الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ}**، وكذلك قوله: **{ عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ}**، وكذلك قوله بعدها: **{وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا**

---

(١)ينظر: تفسير السمرقندي ٣٩٨/١ والتفسير البسيط للواحدي ٤٢٢/٧، وتفسير القرطبي ٢١٨/٦، والبحر المحيط ٢٩٣/٤، والتفسير الوسيط لمجمع البحوث الإسلامية ١٠٩٣/٢.

(٢) ينظر: تفسير الرازي ٣٧٦/١٢ .

(٣) ينظر: تفسير الخازن ٥٣/٢.

(٤) ينظر: تفسير الماوردي ٤٧/٢ ودرج الدرر في تفسير الآي والسور لعبد القاهر الجرجاني ٦٧٦/٢.

(٥) ينظر: تفسير الماوردي ٤٧/٢ .

أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ}[1]، فجميع ذلك يندرج تحت مظلة السياق اللغوي الذي يرشح معنى إظهار أمر المنافقين.

فيقول السمرقندي إشارة إلى هذه القرينة اللغوية: **{أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ}**: «يعني: إظهار نفاقهم، **فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ** من النفاق، نادمين؛ لأن المنافقين لما رأوا من أمر بني قريظة والنضير ندموا على ما قالوا، ثم قال تعالى: **{وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا}** يعني في ذلك الوقت الذي يظهر فيه نفاق المنافقين ...»[2] .

فالحديث هنا قائم على بيان حال المنافقين عندما ظهر أمر نفاقهم، ومدى خسارتهم بسبب نفاقهم.

– هناك عدة روايات ذكرت في أسباب نزول هذه الآيات تؤيد، وترشح المعنى الأول، وهو «إظهار أمر المنافقين»، فمن هذه الروايات التي ذكرت ما قيل أنها نزلت في عبادة بن الصامت، وعبد الله بن أبي بن سلول، وذلك أنهما اختصما، فقال عبادة: إن لي أولياء من اليهود كثير عددهم، شديدة شوكتهم، وإني أبرأ إلى الله، وإلى رسوله من ولايتهم وولاية اليهود، ولا مولى لي إلا الله ورسوله، فقال عبد الله: لكني لا أبرأُ من ولاية اليهود؛ لأني أخاف الدوائر، ولا بُدَّ لي منهم، فقال النبي (ﷺ): « يا أبا الحُبَاب ما نَفَسْتَ به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دُونَهُ»، قال: إذًا أقبلُ، فأنزل الله تعالى هذه الآية »[3]، وغيرها من الروايات الأخرى التي ذُكرت في أسباب نزول هذه الآيات، والتي ترمي إلى معنى إظهار أمر المنافقين أمام

---

(١) سورة المائدة الآية (٥٣) .

(٢) تفسير السمرقندي ٣٩٨/١ بتصرف يسير.

(٣) تفسير البغوي ٥٩/٢ .

النبي (ﷺ)، وأمام المؤمنين[١].

– تعددت المعاني التفسيرية لهذا اللفظ في كتب المفسرين، وإن كان هذا المعنى هو الأكثر ذكرًا عندهم، مما جعل هذا المعنى هو الأَولى بالقبول عند علماء الوجوه والنظائر[٢] .

الثالث عشر: بمعنى النصر والفتح:

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾[٣] .

يصور الله تعالى موقف المؤمنين والمنافقين يوم غزوة أُحد، وما كان بها من أحداث، والمعنى العام – هنا–: أن الله سبحانه وتعالى أكرم المؤمنين بالنعاس بعدما نزلت بهم الغموم؛ لتطمئن قلوبهم، ويهدأ روعهم، فإنما ينعس من يأمن، والخائف لا ينام، وقد أنزل الله عليهم النعاس بعد المعركة، وهم صافُّون، استعدادًا لما يتوقعون من كَرَّة العدو عليهم، بعد أن كان متجهًا إلى مكة، وهذا النوم يغشى طائفة المؤمنين الصادقين، وهناك طائفة أخرى لا يغشاهم النوم، وهم طائفة المنافقين، فهم قد أهمتهم أنفسهم، فهؤلاء المنافقون خرجوا مع الرسول غير راغبين في الخروج؛ لذلك كان همهم هو أنفسهم؛ لذلك لم يغشهم النعاس، أما المؤمنون فقد كان همهم الرسول وسلامته، وهؤلاء المنافقون يظنون أن الله لا ينصر محمدًا؛ وأن دينه باطل، وأن الله لن يكون مع المؤمنين، ولو كان محمد نبيًا حقًا ما سلط عليه الكفار، ويقول بعضهم لبعض على سبيل الإنكار: هل لنا من النصر والفتح والظفر نصيب؟

---

(١) ينظر: تفسير البغوي ٢/٥٩ .

(٢) ينظر: الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري ص ٧٤ .

(٣) سورة آل عمران من الآية (١٥٤) .

يقصدون أن ليس لهم من ذلك شيء؛ لأن الله سبحانه وتعالى لا ينصر محمدًا (ﷺ)، فهم قد فهموا أن النصر وحقية الدين متلازمان، وأن ما حدث في ذلك اليوم دليل على أن هذا الدين ليس بحق...[١].

الشاهد معنا – هنا – هو تحديد دلالة ومعنى كلمة «الأمر»، ومن المعروف أن لفظ «الأمر» من الألفاظ المبهمة مثل كلمة (شيء)، التي لا يُفَرَّقُ بين معانيها الحقيقية والمجازية إلا عن طريق السياق، وما يتضمنه الكلام أو الجملة من قرائن تعمل على تحديد المعنى المراد.

ومن خلال مطالعة كتب التفسير والكشف عن أقوال المفسرين في ذلك نجد أن لفظ «الأمر» – هنا– يتضمن معنى النصر والفتح؛ فيصرح بذلك الزجاج عند قوله: «ومعنى **{الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ }** أي: النصر وما يلقى من الرعب في القلوب لله، أي كل ذلك لله»[٢] .

ويؤكد ذلك الماتريدي قائلاً: «وقوله (ﷻ) **{يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ}** قيل: يقولون بعضهم لبعض: هل لنا من الأمر من شيء، يعني بالأمر: النصر والغنيمة وقيل: قالوا ذلك للمؤمنين **{قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ}** يعني النصر والفتح كله بيد الله»[٣].

وهناك من المفسرين من ذكر معنى آخر بجانب معنى النصر، والفتح، والعون، وهو معنى القضاء والقدر، يكشف السمرقندي عن هذه الدلالة موضحًا: « **{يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ}** يعني: النصر والفتح، **{قُلْ**

---

(١) ينظر: تفسير المراغي ١٠٣/٤ وما بعدها، والتفسير الوسيط لمجمع البحوث الإسلامية ٦٨٣/٢ وما بعدها.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤٨٠/١ .

(٣) تفسير الماتريدي ٥١٠/٢، ٥١١، وينظر: الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري ص ٧٣، والوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز للدامغاني ص ٤٢، واللباب في علوم الكتاب ٤٢٥/٢ وبصائر ذوي التمييز ٤١/٢ .

{إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ} يعني: النصرة والغنيمة كله من الله ... وقال الضحاك: **{قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ }** يعني: القدر خيره وشره من الله»[(١)].

ويضيف – أيضًا– الواحدي هذا المعنى عند قوله: « وقال الأكثرون: أي: ليس لنا من النصر والظفر شيء ... أي: النصر بيد الله (ﷻ)، وقال عطاء عن ابن عباس يريد: القضاء والقدر، والنصر والشهادة»[(٢)].

وقد عَبَّر الشيخ أبو السعود العمادي عن القضاء والقدر بمعنى آخر مقارب، وهو معنى التدبير قائلاً: « **{قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ}** أي: الغلبة بالآخرة لله تعالى ولأوليائه ... أو إن التدبير كله لله فإنه تعالى قد دبَّر الأمر»[(٣)] .

هذه هي أقوال المفسرين في تحديد دلالة لفظ «الأمر»، وإن كان الأقرب والأليق بالمقام هو معنى (النصر والغلبة والفتح)؛ لأن موقفهم آنذاك في هذه الغزوة يستدعي النصر، وهذا النصر بيد الله تعالى؛ لأنه هو القادر على كل شيء، وأن الأمر كله بيد الله تعالى، فهم في ذلك الوقت ينتظرون النصر والفتح من الله، وأن هذا المعنى هو الذي عليه أكثر المفسرين.

***

الرابع عشر: بمعنى إيجاد عيسى (عليه السلام) وكمال قدرة الله:

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ٣٤ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[(٤)] .

يقص علينا القرآن الكريم قصة سيدنا عيسى وأمه – عليهما السلام – وكيف خلقه الله تعالى من دون أب، وأن الله تعالى جعل خلق عيسى (عليه السلام)

---

(١) بحر العلوم للسمرقندي ٢٥٨/١، وينظر: تفسير الثعلبي ١٨٧/٣ .

(٢) التفسير البسيط للواحدي ٩٤/٦، وزاد المسير ٣٣٧/١ وتفسير القرطبي ٢٤٢/٤.

(٣) تفسير أبي السعود ١٠١/٢.

(٤) سورة مريم الآيتان (٣٤، ٣٥) .

آية للناس، ورحمة منه سبحانه وتعالى، ويردُّ القرآن الكريم على من زعم أن عيسى ابن الله؛ مبيناً لهم أن الله تعالى سبحانه هو الخالق للسماء بلا عمد، وخالق للأرض على ماء جمد؛ فسبحانه وتعالى ما كان له أن يتخذ ولدًا، فالله تعالى هو الخالق لكل شيء، وأنه تعالى إذا أراد أن يخلق خلقًا من العدم، كآدم (عليه السلام) أو دون أب، كعيسى (عليه السلام)، فإنما يقول كن فيكون.

وإذا نظرنا إلى دلالة مادة «أ م ر» في قوله **{سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا}** نجد أن العلماء قد ذكروا لها معنيين:

١- المعنى الأول: أنه يراد به إيجاد عيسى (عليه السلام)، وذلك بكمال قدرته سبحانه وتعالى، وهذا المعنى يعدُّ من المعاني المجازية لمادة «أمر»، ويكشف عن هذا المعنى السياق الذي وردت فيه كلمة «أمر».

فيصرح الطبري بهذا المعنى عند قوله: « وقوله: **{سُبْحَانَهُ}**: تنزيهًا لله وتبرئة له أن يكون له ما أضاف إليه الكافرون القائلون: عيسى ابن الله. وقوله **{إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}** يقول جل ثناؤه: إنما ابتدأ الله خلق عيسى ابتداء»(١).

ويكشف لنا – أيضًا – السمرقندي عن ذلك قائلاً: « سبحانه، إذا قَضى أَمْراً يعني: إذا أراد أن يخلق خلقاً مثل عيسى، فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ»(٢) .

وهذا المعنى هو الذي اتحدت عليه أقوال علماء الوجوه والنظائر؛ فيبين الدامغاني ذلك موضحًا أن «تفسير الأمر على ستة عشر وجهًا ... الوجه الرابع الأمر يعني به: عيسى ابن مريم – عليهما السلام – كقوله تعالى في

---

(١) تفسير الطبري ١٩٦/١٨.

(٢) تفسير السمرقندي ٣٧٤/٢.

سورة مريم {سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا} يعني خلق عيسى»[١] .

٢- المعنى الثاني: بمعنى إذا أراد إحداث شيء خلقه بقدرته، أو إذا أراد شيئًا، فإنما يأمر به، فيصير كما يشاء[٢] .

فبذلك يكون المقصود بالأمر – هنا-: أي أمر من الأمور أو أي شيء من الأشياء[٣]، وهذا المعنى يُعدُّ من الاستعمالات الحقيقية لمادة "أ م ر"، ومن المعاني الحقيقية لها.

وإذا نظرنا إلى سياق الآيات السابقة واللاحقة لهذه الآية لوجدنا أن السياق يرشح ويحدد المعنى الأول، وهو معنى: خلق عيسى وإيجاده بكمال قدرته سبحانه وتعالى، فحديث الآيات – هنا- مُنْصَبٌّ على قصة سيدنا عيسى وأمه مريم، وخلق عيسى (عليه السلام)، والرد على من قال أن عيسى ابن الله، وأن الله تعالى منزَّه عن أن يتخذ ولدًا، فالله تعالى إذا أراد وقضى أن يخلق خلقًا مثل عيسى من غير أبٍ أو كمثل آدم (عليه السلام) من غير أبٍ أو أمٍّ؛ فإنما يقول له كن فيكون، ولا يَعْظُمُ عليه خلقه.

فلو شاء سبحانه «أن يخرج عيسى إلى هذه الدنيا من غير أبٍ أو أمٍّ لما كان ذلك بالمعجز لقدرة الله»: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[٤][٥] .

---

(١) الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز للدامغاني ص ٤٠، ٤١، وينظر قبله: التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه ص ٢٣٢ والوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري ص ٧٢ وبصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي ٤٠/٢ .

(٢) ينظر: لطائف الإشارات للقشيري ٤٢٩/٢ وتفسير ابن كثير ٢٠٤/٥ .

(٣) ينظر: فتح القدير للشوكاني ٣٩٤/٣ وتفسير المراغي ٥١/١٦ .

(٤) سورة آل عمران الآية (٥٩) .

(٥) التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب ٧٣٣/٨.

الخامس عشر: بمعنى الذنب والوزر:

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦ ﴾[1].

يُحَرِّم الله تعالى صيد البَرِّ حال الإحرام بحج أو عمرة، سواء في داخل الحرم المكي أو خارجه؛ ليتفرغ العباد للعبادة، فإن قَتَلَ المحرم عمدًا أو خطأ شيئًا من الصيد البري، فعليه جزاء من الأنعام يماثل ما قتله، في الهيئة والصورة إن وجد، وإن لم يوجد المثيل، فتجب القيمة، ويتم تقدير الجزاء من قِبَل شخصين مؤمنين عدلين، أو يقوم بإطعام مساكين، أو يُكَفِّر عن ذلك بالصيام، والسبب في تشريع ذلك الجزاء على قتل الصيد، لكي يذوق القاتل وبال أمره، أي ثقل فعله، وسوء عاقبة ذنبه، وهتكه لحرمة الإحرام[2].

وإذا نظرنا إلى مادة «أ م ر» في قوله: **{ لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ}** فنجد أنها في المجمل تحتمل الكثير من المعاني والدلالات، والتي يحددها الاستخدام والسياق الذي وردت فيه، ونلاحظ أن السياق – هنا – في هذه الآية يحدد معنى لفظ «الأمر»؛ ليكون بمعنى الذنب والوزر الذي تم ارتكابه من قتل الصيد في حالة الإحرام، والدليل على أن «الأمر» – هنا – بمعنى الذنب والوزر ما يلي:

١– دلالة السياق اللغوي المذكور في الآية، فإن الخطاب – هنا– في هذه الآية موجه للمسلمين وللذين آمنوا جميعًا سواء المُحرِم منهم أو غير المُحرِم، والنهي والتحذير– هنا– من قتل الصيد البري في حالة الإحرام، وأن قتل هذا الصيد في غير حالة الإحرام، وفي أي مكان آخر

---

(١) سورة المائدة الآية (٩٥) .

(٢) التفسير الوسيط للزحيلي ٤٩٨/١، ٤٩٩ بتصرف .

غير الحرم يكون مباحًا وحلالاً، ولكن في وقت الإحرام وفي داخل إطار الحرم، فهو غير مباح، ومن يفعله فهو ذنب يُكَفَّرُ عنه، سواء بذبح هدي أو إطعام مساكين أو صيام أيام، وذلك تكفيرًا عن هذا الذنب والوزر المرتكب؛ نظراً لحرمة الإحرام، مع العلم أن صيد البَرِّ للمُحرِم كان مباحًا قبل نزول هذه الآية بالتحريم، ومباحًا في غير وقت الإحرام وبعيدًا عن الحرم.

٢- إجماع المفسرين وأصحاب الوجوه والنظائر على هذا المعنى المراد، وعلى تحديد هذه الدلالة، فيصرح الإمام الطبري بهذا المعنى قائلاً: «يعني: «بأمره»، ذنبه وفعله الذي فعله من قتله ما نهاه الله (ﷻ) عن قتله في حال إحرامه يقول: فألزمته الكفارة التي ألزمته إياها، لأذيقه عقوبة ذنبه بإلزامه الغرامة، والعمل ببدنه مما يتعبه ويشق عليه»(١).

وقد ورد – أيضًا–: « وقوله: **{ لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ}** أي: أوجبنا عليه ذلك الجزاء بأقسامه الثلاثة ليذوق وبال أمره، أي: جزاء ذنبه الصادر منه، وعقوبة هتكه لحرمة الإحرام، إما بدفع الغرم، وإما بالعمل ببدنه بما يتعبه ويشق عليه»(٢).

وعلى هذا المعنى اتحدت أقوال علماء الوجوه والنظائر، فقد جاء في الوجوه والنظائر للدامغاني أن: «تفسير «الأمر» على ستة عشر وجهًا .... والوجه الثاني عشر: الأمر يعني: الذنب كقوله تعالى: **{ لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ}**

---

(١) تفسير الطبري ٤٦/١٠، ٤٧ وينظر: تفسير الماتريدي ٦٢٤/٣، وتفسير السمرقندي ٤١٨/١، وتذكرة الأريب في تفسير الغريب لابن الجوزي ٨٩/١، وزاد المسير في علم التفسير ٥٨٧/١، وتفسير الخازن ٧٩/٢، والتفسير الوسيط لمجمع البحوث الإسلامية ١١٦٢/٣ .

(٢) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ٧٣/٨ .

يعني جزاء ذنبه»[١].

فبذلك تكون دلالة «الأمر» – هنا – بمعنى الذنب والوزر، ويكون معنى **{لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ}**، أي: جزاء ذنبه.

***

السادس عشر: بمعنى الكيد والمكر والتدبير:

قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ [٢].

يخاطب الله تعالى نبيه محمدا (ﷺ) في القرآن الكريم بأن يتلو على المشركين والكفار قصة وخبر سيدنا نوح (عليه السلام) مع قومه الذين هم على شاكلة قومك في الكفر والعناد؛ إذ قال نوح لقومه – بعد أن بذل معهم الجهد الطويل في الوعظ والتذكير–: يا قومي إن كان قد عظم عليكم قيامي، وتذكيري لكم بآيات الله الذي كان سببًا في كراهتكم لوجودي بينكم، فعلى الله وحده توكلت، فاجمعوا كيدكم ومكركم وعدتكم، ومن هو معكم من شركائكم، وافعلوا ما في وسعكم دون تردد أو رجوع، ثم لا يكن أمركم الذي أجمعتم عليه فيه شيء من الغمة والخفاء الذي ينتج عنه الوهن أو التردد في التنفيذ[٣].

---

(١) ينظر: الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز للدامغاني ص ٤٠ وما بعدها، وينظر قبله: التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه ص ٢٣٤، والوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري ص ٧٤.

(٢) سورة يونس الآية (٧١) .

(٣) ينظر: تفسير المراغي ١٣٧/١١، ١٣٨، والتفسير الوسيط لمجمع البحوث الإسلامية ١٢٠/٤.

وعند البحث والتنقيب عن المعنى المقصود والمراد من مادة « أ م ر» في قوله تعالى: **{فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ}** نجد أن العلماء والمفسرين قد ذكروا في ذلك عدة معان، يمكن حصرها على النحو التالي:

١- بمعنى: الكيد والمكر [١] .

٢- بمعنى: قولكم وآرائكم المختلفة[٢] أي: اجمعوا شتات الآراء كلها في رأي واحد[٣].

٣- بمعنى: ذوي الأمر منكم ورؤسائكم [٤] .

٤- بمعنى: ما تريدون من إهلاكي، واعزموا على ما تشاؤون[٥] .

٥- بمعنى: التشاور والتفاوض والتفاهم والاتفاق فيما بينهم [٦] .

٦- بمعنى: العزم على الفعل بعد التردد[٧] .

٧- بمعنى: العمل، أي: اجمعوا عملكم بي وما تريدون أن تفعلونه بي وتهلكوني به[٨].

---

(١) ينظر: تفسير السمرقندي ١٢٥/٢، وتفسير الرازي ٣٨٤/١٧، وتفسير الخازن ٤٥٥/٢ وتفسير النيسابوري ٦٠٢/٣، والتفسير الوسيط لطنطاوي ١٠٤/٧ وصفوة التفاسير ٥٥٣/١.

(٢) ينظر: تفسير السمرقندي ١٢٥/٢، ودرج الدرر في تفسير الآي والسور ٩٥١/٣، وتنوير المقباس من تفسير ابن عباس ١٧٧/١، والتفسير القرآني للقران ١٠٤٩/٦.

(٣) تفسير الشعراوي ٦٠٩٤/١٠ ، ٦٠٩٨.

(٤) ينظر: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب ٥٣١/٧.

(٥) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية ٣٢٩٩/٥ وتفسير الزمخشري ٣٥٩/٢.

(٦) ينظر: التفسير الحديث ٤٨٧/٣ .

(٧) ينظر: التحرير والتنوير ٢٣٨/١١.

(٨) ينظر: تفسير السمرقندي ١٢٥/٢، وتفسير الجلالين ٢٧٧/١ .

٨ – بمعنى: الشأن، أي: شأنكم في إهلاكي[١] .

هذه هي المعاني التي ذكرها العلماء والمفسرون عند تحديدهم لمعنى قوله تعالى: **{فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ}**، وإذا نظرنا إلى جميع هذه المعاني لوجدنا بينها تقاربا وترابطا؛ فجميعها تدور حول المعنى الأول، وهو اجمعوا كيدكم ومكركم وتدبيركم للخلاص مني وإهلاكي، فهذا المعنى هو المعنى الأنسب والأقرب والسياق العام للآية.

فهذا المعنى يدخل في طياته جميع المعاني الأخرى؛ فاجتماع ذوي الأمر منهم ورؤسائهم، وإدلاء كل منهم برأيه وقوله، واجتماع شتات آرائهم، وتشاورهم وتفاوضهم، والعزم على الفعل، واجتماع عملهم وحالهم وشأنهم، كل هذه الأمور تؤول إلى نتيجة واحدة في النهاية، وهي المكر والكيد والتدبير لإهلاك سيدنا نوح (عليه السلام) .

ومما يؤكد هذا المعنى ما جاء في القرآن الكريم من اقتران الجمع بالكيد عادة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴾[٢]، وكذلك في قوله تعالى – أيضًا –: ﴿ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴾[٣]، ففي الآيتين اقترن الفعل «جمع» بالكيد، وفي ذلك دليل على أن المراد بالأمر – هنا– هو الكيد والمكر، والتدبير لإهلاكه.

***

(١) ينظر: تفسير القاسمي ٥٠/٦ والتحرير والتنوير ٢٣٨/١١ .

(٢) سورة طه الآية (٦٠) .

(٣) سورة طه الآية (٦٤) .

السابع عشر: بمعنى الغرق والهلاك:

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (٤١) وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾[(١)].

يقصُّ علينا القرآن الكريم قصة سيدنا نوح (عليه السلام)، وصناعته للفلك، وموقف أهله منه، ويصور لنا القرآن صعوبة مصير ابن سيدنا نوح بكونه من المغرقين، وينقل لنا – أيضًا– حوار نوح مع ابنه قبل غرقه عندما نادى نوح ابنه، وقال له: يا بني اركب الفلك معنا، ولا تكن مع الكافرين، ولكنه لم يستجب، وأخذه الكبر، وقال: سآوي إلى جبل يعصمني من الماء ظنًا منه أن صعود الجبل ينجيه، وأن الماء لن يصل إلى قمة الجبل، فقال له نوح (عليه السلام): لا عاصم اليوم من الغرق، ولا ينجو منه إلا من آمن.

وعند الكشف عن تحديد دلالة مادة «أ م ر» في قوله تعالى: **{لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ}** نجد أنها استخدمت – هنا – للدلالة على معنى مجازيٍّ مخالفٍ لمعناها الأصلي، وهذا المعنى المجازي دل عليه المقام، والسياق الذي ورد فيه.

وعند الرجوع إلى أقوال المفسرين في تحديد معنى كلمة**{ أَمْرِ اللَّهِ}**– هنا – نجد أقوالهم تجتمع في معنيين هما:

١– بمعنى: الغرق والهلاك، يقول الطبري في ذلك: «أي: لا مانع اليوم من أمر الله الذي قد نزل بالخلق من الغرق والهلاك إلا من رحمنا فأنقذنا منه»[(٢)].

---

(١) سورة هود الآيات (٤١: ٤٣) .

(٢) تفسير الطبري ٣٣٢/١٥.

ويصرح الماوردي بذلك مبيناً: « **{مِنْ أَمْرِ اللَّهِ}**: يعني الغرق»(١).

ويؤكد علماء الوجوه والنظائر على هذا المعنى؛ فيؤكد لنا الدامغاني ذلك قائلاً: « تفسير الأمر على ستة عشر وجهًا ... والوجه الخامس عشر: الأمر يعني: الغرق كقوله تعالى في سورة هود: **{لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ}**»(٢).

وقد وافق هذا المعنى الكثير من العلماء: كالسمرقندي، والفيروزآبادي، ومحمد الأمين الهرري (٣).

٢- بمعنى: العذاب، يصرح بذلك الإمام البغوي عند قوله: « **{لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ}**أي: من عذاب الله» (٤).

وممن وافق هذا المعنى من العلماء: أبو الحسن الخازن وابن عادل الدمشقي(٥).

ويؤكد الإمام الشوكاني على ترشيحه للمعنى الأول قائلاً: « وعَبَّر عن الماء أو عن الغرق بأمر الله سبحانه: تفخيمًا لشأنه وتهويلاً لأمره»(٦).

إذًا فمن خلال ما سبق يتبين لنا ما يلي:

- أن لفظ «أمر» - هنا- اتفق العلماء على دلالته على معنى مجازيٍّ، وليس على معنى حقيقي.

- ذكر العلماء للفظ «الأمر» - هنا - معنيين، إما أن يكون بمعنى

---

(١) تفسير الماوردي ٤٧٤/٢.

(٢) الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز ص ٤٠، ٤٣ .

(٣) ينظر: بحر العلوم ١٥٢/٢ وبصائر ذوي التمييز ٤١/٢، وحدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ١٢١/١٣.

(٤) تفسير البغوي ٤٥٠/٢ .

(٥) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ٤٨٦/٢ واللباب في علوم الكتاب ٤٩٦/١٠.

(٦) فتح القدير للشوكاني ٥٦٧/٢.

الغرق والهلاك في الماء، وإما أن يكون بمعنى العذاب.

– أن سياق الآية – هنا – يرشح ويؤيد المعنى الأول، وهو الدلالة على معنى الغرق، وذلك لوجود القرائن اللفظية واللغوية التي تعضد هذا المعنى، فقوله: **{وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ}**، وقوله – أيضًا–: **{سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ}**، وقوله: **{وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ}**، فهذه القرائن تؤكد أن الماء كانت أمواجه عالية ومرتفعة، كالجبال، ولها جاذبية شديدة في سحب أي شيء يسير به الطوفان؛ لدرجة أن السفينة كانت تجري بهم، ومما يدل – أيضًا– على شدة الماء تفكير ابن سيدنا نوح في اللجوء إلى جبل عالٍ يحميه من الماء، ففي ذلك دلالة على شدة الماء وارتفاع أمواجه؛ لدرجة أن هذه الأمواج كانت بمثابة الحائل والساتر بين نوح وابنه، فكان من المغرقين، وكذلك بما أن الغرق نوع من أنواع العذاب، فاختيار دلالة الغرق هي الأنسب والأدق لمراعاة الحال والموقف، وهي الأنسب والأكثر دقة في التعبير، نظرا لأن للعذاب أساليبه وطرقه المتنوعة المختلفة ، فكان عقاب أهل سيدنا نوح بإغراقهم في الماء.

الثامن عشر: بمعنى (شيئًا عجبًا):

قوله تعالى: ﴿ **فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا** ﴾[1] .

تحدثنا الآية الكريمة في سورة الكهف عن قصة سيدنا موسى والخضر، وما دار فيها من أحداث، وما بها من حِكم ومواعظ، فاتبع سيدنا موسى الخضر قاصدًا منه أن يعلمه مما علمه ربه رشدًا، فقال له سيدنا الخضر: إنك لن تستطيع معي صبرا؛ لأنك سترى من الأمور التي لم تحط بها خبرًا، ولم تعلم عنها شيئًا؛ فلذلك لن تستطيع الصبر على مصاحبتي، فقال له موسى:

---

(١) سورة الكهف الآية (٧١) .

ستجدني إن شاء الله صابرًا، ولا أعصي لك أمرًا، فوافق سيدنا الخضر على اتباع سيدنا موسى له، ولكنه اشترط عليه أن لا يسأله عن شيء حتى يحدث له منه ذكرًا، فانطلق سيدنا موسى والخضر، وهما في سيرهما سويًا حتى لقيا سفينة فركب فيها الاثنان، فقام الخضر بخرق السفينة، فقلع منها لوحًا من ألواحها ليُحدث بها عيبا؛ لكي لا يطمع فيها الملك الظالم الذي يأخذ كل سفينة صالحة غصبًا من أصحابها، فعندما رأى سيدنا موسى ذلك الفعل تعجب من ذلك، وقال للخضر أخرقت هذه السفينة؛ لتغرق أهلها، لقد جئت شيئًا عجباً.

الشاهد معنا – هنا – في هذه الآية هو تحديد دلالة مادة «أ م ر» في قوله تعالى: **{ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا }**، وتحديد المعنى المراد من هذا اللفظ .

وعند الرجوع إلى أقوال علماء اللغة والمفسرين عند تفسيرهم لدلالة هذا اللفظ، فنجد أنهم ذكروا عدة معان، يمكن حصرها فيما يلي:

١- بمعنى: المنكر، وهذا قول مجاهد ومقاتل بن سليمان، والكثير من المفسرين [١].

٢- بمعنى: (عجبًا) أي: لقد جئت شيئًا عجبًا، وهذا قول قتادة [٢].

٣- بمعنى: الداهية، وهذا القول لأبي عبيدة معمر بن المثنى [٣]، والإمر في كلام العرب: الداهية، ومنه قول الراجز: [٤]

---

(١) تفسير مجاهد ٤٥٠/١ وتفسير مقاتل بن سليمان ٥٩٥/٢، وينظر: تفسير ابن أبي حاتم ٢٣٧٨/٧ وتفسير الماوردي ٣٢٧/٣، وزاد المسير ٩٩/٣.

(٢) ينظر: تفسير الطبري ٧٢/١٨، وتفسير ابن أبي حاتم ٢٣٧٨/٧، وزاد المسير ٩٩/٣، وتفسير الرازي ٤٨٧/٢١.

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى ٤٠٩/١ وينظر: زاد المسير في علم التفسير ٩٩/٣.

(٤) هذا البيت من بحر الرجز، وهو بلا نسبة في مجاز القرآن ٤٠٩/١، والصحاح للجوهري « أ م ر» ٥٨١/٢، ولسان العرب « أ م ر » ٣٣/٤، وتاج العروس « أ م ر» ٧٥/١٠ والمعجم المفصل في شواهد العربية ٩٥/١٠ .

قَدْ لَقِـيَ الأَعْـدَاءُ مِنِّـي نُكْـرَا ∴ دَاهِيَـــةٌ دَهْيَـــاءَ إِدّا إِمْـــرَا

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول: أصله كل شيء شديد كثير، ويقول منه: قيل للقوم: قد أَمِروا: إذا كثروا واشتد أمرهم»(١).

ويضيف الماوردي أنه: «مأخوذ من الإمر وهو الفاسد الذي يحتاج إلى الصلاح، ومنه رجل إمر إذا كان ضعيف الرأي لأنه يحتاج أن يؤمر حتى يقوى رأيه، ومنه أمِرَ القوم إذا أكثروا لأنهم يحتاجون إلى من يأمرهم وينهاهم»(٢).

٤- بمعنى: الشيء العظيم، أي لقد جئت شيئًا عظيمًا(٣).

٥- بمعنى: الشيء الكثير (٤).

٦- بمعنى: الشيء الشنيع من الأمور(٥).

هذه هي المعاني التي ذكرها المفسرون عند تفسيرهم لقوله تعالى: **{لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا }**، وإن كان السياق يرجح المعنى الثاني، وهو أنها بمعنى لقد جئت شيئًا عجبًا؛ وذلك استنادًا لما يلي:

٢- وجود قرينة لغوية في الآيات التالية لهذه الآية تنفي المعنى الأول، وذلك في قوله تعالى بعدها: ﴿ **فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا** ﴾(٦) .

---

(١) تفسير الطبري ٧٢/١٨، ٧٣، وينظر: لسان العرب لابن منظور « أ م ر» ٣٣/٤ .

(٢) تفسير الماوردي ٣٢٧/٣ .

(٣) ينظر: تفسير الطبري ٤٠٦/١٧ و٧٢/١٨، وتفسير ابن أبي حاتم ٢٣٧٨/٧.

(٤) ينظر: تفسير الطبري ٤٠٦/١٧ .

(٥) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير « أ م ر» ٦٧/١، ولسان العرب « أ م ر» ٣٣/٤، وتفسير الثعالبي ٥٣٥/٣، ومعجم اللغة العربية المعاصرة: د/ أحمد مختار عمر « أ م ر» ١١٨/١.

(٦) سورة الكهف الآية (٧٤) .

٢- أن « النُّكر»: أعظم من «الإمر» في القبح؛ لذلك في آية خرق السفينة ختم الله الآية بقوله: **{ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا }**، وفي آية قتل الغلام ختم الله الآية بقوله: **{ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا}**؛ فالإشارة إلى أنَّ قتل الغلام أقبح وأعظم من خرق السفينة؛ لأن ذلك ما كان إتلافًا للنفس؛ لأنه كان يمكن أن لا يحصل الغرق، أما في آية قتل الغلام فبالفعل حصل الإتلاف قطعًا، فكان أنكر، فالنُّكر أعظم من العجب، وقيل النُّكر ما أنكرته العقول، ونفرت عنه النفوس، فهو أبلغ في تقبيح الشيء من الإمر(١).

ويؤكد الشيخ المراغي على ذلك، وعلى الفرق بين المعنيين قائلاً: « وأتى هنا بقوله «نُكرًا» وهناك بقوله «إمرًا» لأن قتل الغلام أقبح من خرق السفينة؛ لأن هذا لم يكن إهلاكًا للنفس، إذ ربما لا يحصل الغرق، وفي هذا إتلاف النفس قطعًا فكان أنكر»(٢) .

٣- مما يؤكد أن «إمرًا» بمعنى عجبًا أننا إذا نظرنا على دقة القرآن الكريم في استخدامه للألفاظ بإزاء المعاني والسياقات المناسبة، فنلاحظ أن دقة القرآن في ختم الآية الأولى آية خرق السفينة بقوله: **{لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا }**، وختم آية قتل الغلام بقوله: **{لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا}**، وذلك لأن خرق السفينة شيء يثير العجب، ويثير الاستغراب والاستهجان للفعل، ولكن قتل الغلام لا يثير العجب ولا الاستغراب من الفعل بل يثير الإنكار، وعدم قبول الفعل اطلاقًا دون فضول للسؤال عن سبب ذلك.

ويشير الفيروزآبادي إلى ذلك قائلاً: « قوله تعالى **{ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا}** وبعده **{لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا}** لأن الإمر العجب، والعجب يستعمل في الخير والشر بخلاف النُكر؛ لأن النُّكر ما ينكره العقل فهو شر، وخرق

---

(١) ينظر: تفسير الرازي ٤٨٧/٢١.

(٢) تفسير المراغي ١٧٩/١٥.

السفينة لم يكن معه غرق، فكان أسهل من قتل الغلام وإهلاكه، فصار لكل واحد معنى يخصه»[١] .

فمن أجل تلك الملامح الفارقة بين دلالة اللفظين كانت الدقة المتناهية للقرآن الكريم في وضع كل لفظ بما يتناسب مع سياق آيته، فلو افترضنا جدلاً بعيدًا عن القرآن الكريم وضع لفظ «نكرًا» في نهاية آية خرق السفينة، ووضع لفظ «إمرًا» في نهاية آية قتل الغلام لما جاز المعنى، ولما توافقت الدلالات والسياقات بهذا الترتيب القرآني الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[٢] .

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي ٣٠١/١.

(٢) سورة فصلت الآية (٤٢) .

الخاتمة

الحمد لله المُيَسِّر لكل الأمور، والمعين على كل مبدوء، والمحقق لكل خير مرجو ومأمول، وأشهدُ أَن لا إله إلا اللهُ، وأَنَّ محمدًا (ﷺ) عبده ورسوله... وبعد:

فمن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة ما يلي:

١- السياق هو الذي يعمل على تحديد المعنى المراد، ويزيل اللبس بين المعاني المتزاحمة، وذلك وفق معايير وقرائن لغوية مرتبطة بنصِّ العبارة أو الجملة أو الآيات القرآنية أو قرائن مقامية أو حالية، ترتبط بمراعاة الحال والمقام الذي قيل فيه النصّ أو العبارة أو أسباب النزول للآيات القرآنية، ومراعاة حال المخاطبين بالآيات حال نزولها.

٢- أن تحديد المعاني أمر تقريب، وذلك وفق مقتضيات السياق، والتي قد تسمح للفظ الواحد بمعنيين متقاربين؛ لذلك نجد أَنَّ علماء الوجوه والنظائر أنفسهم قد أدرجوا بعض الآيات في موضعين من مواضع الاستعمال التي حددوها مثل قوله تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾[١]، فقد صنفوها تحت معنى القضاء، وصنفوها – أيضًا- تحت معنى الوحي[٢]، وقد ناقش البحث ذلك عند الدراسة.

٣- أن ذكر المفسرين لمعنيين أو أكثر للمفردة القرآنية الواحدة في الموضع القرآني الواحد لا يُعَدُّ هذا ترددا منهم، ولا ضعفا في آرائهم وأقوالهم، ولكن المفسر يذكر ما يراه مقاربا وموافقا للسياق وللمقام قدر المستطاع؛ حتى وإن كان هذا المعنى مخالفا لمن سبقه من المفسرين إلا أنه يعرض

---

(١) سورة السجدة الآية (٥) .

(٢) ينظر: الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري ص٧٣، والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤٢.

قوله مع قول من سبقه، إذًا فتحديد المعنى القرآني لا غنى له عن السياق، وقد تحتاج الدلالة السياقية إلى تأويل وإعمال فكر للوصول إلى المعنى المراد، والمتناسب مع سياق الآيات.

٤- هناك بعض المواضع التي أثبت البحث فيها معنى غير الذي ذكره علماء الوجوه والنظائر، وذلك كما تبين لنا في دراسة قوله تعالى: **{فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا}** (١)، فهم ذكروا لها معنى: الذنب، وقد أثبت البحث أنها بمعنى الكفر والشرك والعصيان؛ وذلك استنادًا إلى الدلالة السياقية، والأدلة والقرائن التي أثبتها البحث في الدراسة.

٥- تعد أسباب النزول من أهم القرائن غير اللغوية التي يمكن أن يستند إليها المفسرون عند تفسيرهم للآيات القرآنية، وقد ظهر ذلك جليًا عند دراسة قوله تعالى: **{فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ}**(٢) .

٦- عند دراسة قوله تعالى: **{بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}**(٣) أثبت البحث – أيضًا – أنه ليس كل ما جاء في مؤلفات الوجوه والنظائر من معانٍ يمكن قبوله على مطلقه، فقد يكون ما جاء فيها من معانٍ في بعض الألفاظ ليس موافقًا وسياق الآيات أو أن السياق يقتضي ويرجح معنى غيره، فقد ذكر علماء الوجوه والنظائر أن المراد من لفظ «أمرًا» – هنا- خلق عيسى (عليه السلام) من غير أب ، ولكن ما أثبته البحث أن الأصح والأرجح أن «أمرًا» لفظ عام يشمل مطلق الأشياء، والمراد به – هنا – لفظ شيء، وأن خلق عيسى (عليه السلام) من غير أب ما هو إلا شيء من قدرة الله، وإيجاده للأشياء.

---

(١) سزرة الطلاق الآية (٩) .

(٢) سورة البقرة الآية (١٠٩) .

(٣) سورة البقرة الآية (١١٧) .

٧- أثبت البحث – أيضًا- في المثال السابق أنَّ هناك بعض الآيات التي تعمل على ترشيح المعاني وتحديدها، كما في قوله تعالى في سورة النحل: **{إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}** (١)، فكلمة (شيء) هنا مفسرة لقوله (أمرًا) في الآية السابقة في قوله تعالى: **{بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}** (٢)، وهذا ما يعرف بالقرينة اللغوية؛ وذلك مما يثبت لنا – أيضًا- أن القرآن الكريم يفسر بعضه بعضًا، وأنه على اختلاف سوره وكثرة آياته إلا أنه كالشيء الواحد يكمل بعضه بعضًا.

٨- ومما خالف فيه البحث أيضًا ما جاءت به كتب الوجوه والنظائر، وذلك في دراسة قوله تعالى: **{لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا}** (٣)، فقد جاء فيها أن معنى (إمرًا): أي منكرًا(٤)، ولكن البحث أثبت بالأدلة أن معناه: (شيئًا عجيبًا)، وذلك استنادًا إلى القرينة اللغوية في الآية اللاحقة على هذه الآية في قوله تعالى: **{لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا}**(٥).

٩- مدى أهمية ودور القراءات القرآنية، والرسم العثماني الذي جاء عليه المصحف الشريف، وذلك في تحديد المعنى الأَوْلَى بالقبول، كما جاء في قوله تعالى: **{وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا}**(٦)؛ فإجماع جمهور القُرَّاءِ على قراءة « أَمَرْنَا» بالقصر وتخفيف الميم، وكذلك مجيء الرسم العثماني على هذه القراءة، كان ذلك سببًا وقرينة

---

(١) سورة النحل الآية (٤٠) .

(٢) سورة البقرة الآية (١١٧) .

(٣) سورة الكهف الآية (٧١) .

(٤) ينظر: الوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤٣.

(٥) سورة الكهف الآية (٧٤) .

(٦) سورة الإسراء الآية (١٦) .

إثبات في تحديد معنى مادة «أ م ر » بأن يكون المراد بالأمر – هنا – هو الأمر على حقيقته، وهو الأمر الذي ضد النهي.

١٠- كما كان للسياق دوره الفعَّال في ترجيح معنى على الآخر، فهو كذلك له دوره – أيضًا- في اختيار وقبول قراءة على أخرى، فقوله تعالى: **{فَفَسَقُوا فِيهَا }** (١) يُعَدُّ دليلاً على أَنَّ القراءة المختارة، والتي لها القبول هي قراءة «أَمَرْنا» بالقصر والتخفيف؛ لأن الفسق هو رد فعل هؤلاء الكفار وخروجهم عن أمر الله وعن طاعته؛ لأن الله تعالى أمر أهل هذه القرية بالطاعة ففسقوا فيها، لذا يمكننا القول بمدى أهمية القراءات القرآنية في تحديد المعنى السياقي، وكذلك مدى أهمية السياق في تحديده للمعنى الذي يُبنى عليه تحديد القراءة الأَوْلَى بالقبول، والتي يتناسب توجيه معناها مع سياق الآيات.

وبعدُ ... فهذه هي أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، والله أسأل أَنْ أَكُونَ قد وفقت في هذه الدراسة، وأن يكون هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ...

الباحث

(١) سورة الأسراء الآية (١٦) .

من أهم المصادر والمراجع

القرآن الكريم: جلَّ من أنزله.

١- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: للفيروز آبادي تحقيق: د/ محمد علي النجار – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

٢- تاج العروس من جواهر القاموس: للزبيدي تحقيق: مجموعة من المحققين الناشر: دار الهداية.

٣- تأويل مشكل القرآن: لابن قتيبة – تحقيق: إبراهيم شمس الدين– الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٤- التحرير والتنوير: للطاهر بن عاشور– الدار التونسية للنشر والتوزيع – تونس عام ١٩٨٤م.

٥- التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ليحيى بن سلام القيرواني – تحقيق: هند شلبي – الشركة التونسية للطباعة والتوزيع لعام ١٩٧٩م.

٦- تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية تحقيق: عبد السلام محمد هارون – دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ .

٧- تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم: لابن كثير تحقيق: محمد شمس الدين – دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٩هـ .

٨- تفسير البغوي = معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي تحقيق: عبد الرزاق المهدي– دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

٩- تفسير الرازي= مفاتيح الغيب: للرازي– دار إحياء التراث العربي

بيروت الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ .
١٠- تفسير القرطبي= الجامع لأحكام القرآن للقرطبي تحقيق: أحمد البردوني – دار الكتب المصرية بالقاهرة – الطبعة الثانية ١٩٦٤م.
١١- التفسير الوسيط للقرآن الكريم: لمجمع البحوث الإسلامية- الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية الطبعة الأولى ١٩٩٣م.
١٢- تفسير مقاتل بن سليمان تحقيق: عبد الله محمود شحاته دار إحياء التراث بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ .
١٣- تهذيب اللغة: للأزهري تحقيق: محمد عوض مرعب – دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الأولى ٢٠٠١م.
١٤- جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري – تحقيق: أحمد محمد شاكر – الناشر: مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.
١٥- دلالة الألفاظ: د/ إبراهيم أنيس – مكتبة الأنجلو المصرية.
١٦- زاد المسير في علم التفسير: لابن الجوزي – تحقيق: عبد الرزاق المهدي – دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ .
١٧- علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية: د/ فريد عوض حيدر – مكتبة الآداب – الطبعة الثانية ٢٠١٦م.
١٨- علم الدلالة: د/ أحمد مختار عمر- عالم الكتب- الطبعة الخامسة ١٩٩٨م.
١٩- علم الدلالة: د/ منقور عبد الجليل- منشورات اتحاد الكُتاب العرب – دمشق لعام ٢٠٠١م.
٢٠- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي تحقيق: محمد باسل عيون السود- دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٩٩٦م.
٢١- فتح القدير للشوكاني- دار ابن كثير – دمشق الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ .

٢٢- فصول في علم الدلالة: د/ فتحي الدابولي – مركز آيات للطباعة والكمبيوتر بالزقازيق – الطبعة الثانية ٢٠١٦م.
٢٣- فصول في علم الدلالة اللغوية: د/ عبد التواب الأكرت – المكتبة الأزهرية الطبعة الأولى لعام ٢٠١١م.
٢٤- فصول في علم الدلالة: د/ محمد سعد محمد – مكتبة زهراء الشرق الطبعة الثانية ٢٠٠٧م.
٢٥- القاموس المحيط: للفيروز آبادي تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة– مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر الطبعة الثامنة ٢٠٠٥م.
٢٦- الكليات: لأبي البقاء الكفوي تحقيق: محمد المصري – مؤسسة الرسالة – بيروت.
٢٧- لسان العرب: لابن منظور– دار صادر بيروت الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.
٢٨- المعنى اللغوي دراسة عربية مؤصلة نظريًا وتطبيقيًا: د/ محمد حسن جبل مكتبة الآداب– الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.
٢٩- الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز: للدامغاني تحقيق: عربي عبد الحميد علي – دار الكتب العلمية بيروت.
٣٠- الوجوه والنظائر: لأبي هلال العسكري – تحقيق: محمد عثمان – مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة – الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.

References and sources

The Holy Qur'an: Glory be to Him who sent it down

1- Those who received funding in the sects of the book of the Aziz: by Al-Fayrouzabadi, edited by: Dr. Muhammad Ali Al-Najjar - Supreme Council for Islamic Affairs - Cairo, first edition 1996 AD

2- Taj Al-Arous from Jawaher Al-Qamoos: by Al-Zubaidi. Verified by: a group of investigators. Publisher: Dar Al-Hidaya

3- Interpretation of the Problem of the Qur'an: by Ibn Qutaybah - Verified by: Ibrahim Shams Al-Din Publisher: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya – Beirut .

4- Liberation and Enlightenment: by Taher Ben Ashour - Tunisian House for Publishing and Distribution Tunisia in 1984 AD

5- Al-Tasrif for interpreting the Qur'an. What its name has been mentioned and its meanings have been interpreted by: Yahya bin Salam Al-Qayrawani - Investigation: Hind Shalabi - Tunisian Printing and Distribution Company, 1979 AD

6- Tafsir Ibn Atiyya = The brief editor in the interpretation of the book Al-Aziz by Ibn Atiyya, edited by: Abdul Salam Muhammad Haroun - Dar Al-Kutub Al-

Ilmiyyah, Beirut, first edition 1422 .

7- Tafsir Ibn Kathir = Interpretation of the Great Qur'an: by Ibn Kathir, edited by: Muhammad Shams al-Din Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, first edition, 1419 AH

8- Tafsir al-Baghawi = Milestones of Revelation in the Interpretation of the Qur'an by al-Baghawi, edited by: Abd al-Razzaq al-Mahdi - Dar Ihya al-Turath al-Arabi, Beirut, first edition, 1420 AH

9- Al-Razi's interpretation = Keys to the Unseen: by Al-Razi - Arab Heritage Revival House, Beirut, third edition, 1420 AH

10- Tafsir Al-Qurtubi = Al-Jami' fi Ahkam Al-Qur'an by Al-Qurtubi, edited by: Ahmed Al-Baradouni - Dar Al-Kutub Al-Misria in Cairo - second edition 1964 AD

11- The Interpretation of the Holy Qur'an: Islamic Research Academy - General Authority for Princely Printing Affairs, first edition, 1993 AD

12- Interpretation of Muqatil bin Suleiman, edited by: Abdullah Mahmoud Shehata, Dar Ihya al-Turath, Beirut, first edition, 1423 AH

13- Refinement of the Language: by Al-Azhari, edited by: Muhammad Awad Merheb - Arab Heritage Revival House, Beirut, first edition, 2001 AD

14-Jami' al-Bayan fi Interpretation of the Qur'an: by al-Tabari - edited by: Ahmed Muhammad Shaker - publisher: Al-Resala Foundation - first edition 2000 AD

The connotation of words: Dr. Ibrahim Anis - Anglo-Egyptian Library.15-

16- Zad al-Masir fi Ilm al-Tafsir: by Ibn al-Jawzi - edited by: Abdul Razzaq al-Mahdi - Dar Al-Kitab Al-Arabi - Beirut - first edition 1422 AH

17- Semantics, a theoretical and applied study: Dr. Farid Awad Haider - Library of Arts - second edition 2016 AD

Semantics: Dr. Ahmed Mukhtar Omar - The World of Books - Fifth Edition 1998 AD.18-

19- Semantics: Dr. Manqur Abdel Jalil - Publications of the Arab Writers Union - Damascus, 2001 AD

20- Umdat al-Huffaz fi Tafsir Ashraf al-Afaz by al-Samin al-Halabi, edited by: Muhammad Basil Uyun al-Aswad - Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, first edition, 1996 AD

21- Fath Al-Qadir by Al-Shawkani - Dar Ibn Kathir - Damascus, first edition, 1404 AH

22- Chapters on Semantics: Dr. Fathi Al-Dabouly - Ayat Printing and Computer Center in Zagazig - second

edition 2016 AD

Chapters on Linguistic Semantics: Dr. Abdel Tawab Al-Akart - Al-Azhar Library, first edition, 2011 AD 23-

24- Chapters on Semantics: Dr. Muhammad Saad Muhammad - Zahraa Al-Sharq Library, second edition, 2007 AD

25- Al-Muhit Dictionary: by Al-Fayrouzabadi. Verified by: Heritage Investigation Office at Al-Resala Foundation - Al-Resala Printing and Publishing Foundation, eighth edition, 2005

26- Al-Kulliyyat: by Abu Al-Baqa Al-Kafawi. Edited by: Muhammad Al-Masry - Al-Resala Foundation – Beirut

27- Lisan al-Arab: by Ibn Manzur - Dar Sader, Beirut, third edition, 1414 AH

28- Linguistic meaning, a fundamental theoretical and applied Arabic study: Dr. Muhammad Hassan Jabal, Library of Arts - First Edition 2009 AD

29- Faces and counterparts of the words of the Mighty Book of God: by Al-Damghani, edited by: Arabic, Abdul Hamid Ali - Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut

30- Faces and Counterparts: by Abu Hilal Al-Askari - Edited by: Muhammad Othman - Library of Religious Culture - Cairo - First Edition 2007 AD.

✍ فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١٥٧٧
التمهيد	١٥٨٢
أولاً: مادة « أ م ر» بين الحقيقة والمجاز	١٥٨٢
ثانيًا: حول مفهوم الدلالة وأنواعها	١٥٨٦
ثالثًا: حول مفهوم السياق وأقسامه	١٥٩٠
المبحث الأول: المعاني الحقيقية لمادة « أ م ر» في القرآن الكريم ودلالتها السياقية	١٥٩٤
المبحث الثاني: المعاني المجازية لمادة « أ م ر» في القرآن الكريم ودلالتها السياقية	١٦١٩
الخاتمة	١٦٨٣
فهرس أهم المصادر والمراجع	١٦٨٧
فهرس المحتويات	١٦٩٤